مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) تشرين الثاني : سنة ١٩٢٩ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٨ هـ

يهود الشام

منذ مئة عام (١)

نحن اليوم في سنة ١٣٤٢ هـ . فاذا رجعنا الى ما قبل مئة سنة كاملة اي الى سنة ١٢٤٢ (الموافق ١٨٢٦ م) وجدنا أنفسنا في زمن ولاية (صالح باشا) على دمشق . وهو الوالي الذي جرت معظم حوادث هذه المحاضرة في زمنه . و (صالح باشا) هذا هو احد صدور الدولة العثمانية : تقلد ولاية الشام للمرة الاولى سنة (١٢٣٨ هـ — ١٨٢٢ م) ثم عزل وولي مكانه (إيجلي احمد باشا) سنة (١٢٣٩ هـ — ١٨٢٣ م) واحمد باشا هذا مات بحمص . وخلفه في ولاية الشام (مصطفى باشا) في السنة نفسها اي سنة (١٢٣٩) ثم عُزل وخلفه (ولي الدين باشا) سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) . وفي السنة التالية اي سنة (١٢٤٢) أُعيد (صالح باشا) المذكور .

ففي غضون اربع او خمس سنوات تعاقب على ولاية الشام خمسة ولاة . وقد ذكر (لامنس) في تاريخ سوريا أمراً أغرب من هذا . وهو ان احد قناصل حكومة البندقية في حلب كتب في تقرير رفعه الى حكومته : أنه تعاقب على ولاية حلب في مدة ثلاث سنين تسعة باشاوات . اي باعتبار اربعة اشهر لكل واحد منهم .

---

(١) أُلقيت هذه المحاضرة في ردهة المجمع العلمي مساء الجمعة في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ م و١٣٤٢ هـ .

ولا أحاول في محاضرتي هذه ان انقصّى اخبار ولاة الشام ولا الاخبار التي جرت في عهد احدهم (صالح باشا) وأنما أريد ان أذكر حوادث صيارفة اليهود وكيف استبدوا في ذلك العهد بحسابات بيت المال بل بالحركة الاقتصادية العامة . اما المصادر التي استقيت منها حوادث هذه المحاضرة فهي :

(١) مجموعة مخطوطة في مكتبتي وهي للمرحوم علي افندي الكيلاني مفتي حماة المتوفى في حدود سنة (١٢٤٠ هـ — ١٨٢٤ م) وكان رحمه الله يدوّن فيها ما يستحق التدوين من شؤونه الخاصة وشؤون أسرته الكيلانية وبعض ما يقع اليه من اخبار اهل عصره .

(٢) كتاب مخطوط في موضوع تاريخي خاص ألفه كاتب مسيحي [1] مشهور في دمشق وقد عمّر طويلاً حتى أدرك — وهو ناشئ — حوادث الصيارف التي كانت تقع في ذلك العهد .

(٣) بعض أصدقائنا من أفاضل دمشق الذين وقفوا على أخبار بلدهم وأسرار تاريخها الحديث .

هذه هي المصادر التي اعتمدت عليها في محاضرتي : فهي حوادث غضة طريّة . لم تعرف بعد . ولم تتناولها أقلام الكتاب بمناقشة او نقد . ومن ثم كانت جديرة باقبالكم عليها . واصغائكم اليها .

* * *

كان لصيارفة اليهود منذ مئة سنة اي قبل وضع النظام المالي الحالي عز وصولة . وأصبح لهم عند ولاتها وحكامها نفوذ ودولة . حتى كان الناس يتناشدون ماقاله الشاعر فيهم :

(يهود هذا الزمان قد بلغوا   غاية آمالهم وقد ملكوا)

(المال فيهم . والجاه عندهمو   ومنهمو المستشار والملك)

(ياأهل ذا العصر قد نصحت لكم   تهوّدوا قد تهوّد الفلك)

ومما استبدوا به في ذلك العهد من أعمال الحكومة شؤونها الحسابية . وأسرارها المالية . حتى ما كان منها متعلقاً بركب الحج وترحاله . وتهيأة لوازمه وتدارك أمواله : فكانوا

(١) هو الدكتور ميخائيل مشاقة المؤلف المشهور .

يتعللون أحياناً بان المال المخصص للركب لم يتوفر بعد . او ان الجبايات في هذا العام نقصت عن الحد . الى غير ذلك مما حمل النـأس على التذمر منهم . ومتابعة الشكوى للحكومة عليهم . لكنهم كانوا اذا راجعوا ولاة الشام في ذلك أظهر الولاة عجزاً وحيرة في تلافي الشر . وكثيراً مايكون لبعض ولاة السوء علاقة بالصيارفة وميل اليهم . واعتماد في الصيد عليهم .

ثم لما استفحل امرهم ، واستشرى فسادهم ، رفع بعض اهل دمشق عريضة شكوى الى (السلطان محمود) . وكان السلطان يومئذ مشغولاً بامر الانكشارية الذين طغوا في البلاد ، واكثروا فيها الفساد . ولاسيما مدينة (حلب) التي مُنيت من شرورهم بما لم تمن به مدينة غيرها . وكان سكانها يومئذ حزبين او فريقين : (انكشارية) و (سيّاد). وكان يلحق فريق (السيّاد) من (الانكشارية) اذىً كبير ، وشر مستطير . ولقد ظفرت بقطعة شعرية مكتوبة على ظهر كتاب مخطوط وصف بها قائلها حالة الفريقين في ذلك العهد فقال :

(يا مصطفى ان القلوب منغّصة بنيك في الشهباء حلت منقصة)

(في جامع يدعى (الطروش) لقد غدت بدمائهم تلك الا ماكن مغتصة)

قوله (مغتصة) كذا بالاصل بالفاء ولعلها (مغتصة) بالغين المعجمة اي (غاصة) تخففت لضرورة الوزن . وليس ذلك بجائز . اما جامع (الطروش) فهو جامع (الأطروش) احد جوامع حلب وهو اليوم في حالة خراب وموقعه أمام قلعة حلب ملاصق لسوق الجمعة :

(أدرك بجسم الحق ساء مزاجه ولقد كوى الاشراف ابن الحمصة)

(ابن الحمصة) رئيس انكشارية حلب في ذلك العهد . وقد عنى بالاشراف فريق السياد .

(أقبل وقل للحربلي الحربُ لي وأذق لظلاّم الاوجاق المخمصة)

(الحربلي) اسم عائلة من عائلات حلب كان رجالها في اوجاق الانكشارية . ومازالت هذه العائلة الى اليوم في حلب لكنها منحطة :

(في النازعات اجعل لنا ياسينهم وجميعهم . ليست اليه مخصصة)

(ياسينهم) اي ياسين الانكشارية وهو احد زعمائهم في ذلك العصر .

(قدماء أعداء الأنام ثمينة ودماء اولاد الرسول مرخصة)
(ولأنت أولى بالجميع وهذه شكواهم رفعت اليك ملخصة)

هكذا كانت حالة البلاد من جراء فئة الانكشارية في ذلك العهد والسلطان محمود منهمك فيها • وعاصمته (القسطنطينية) قائمة قاعدة من أجلها •

وبينا الحالة كذلك والشكوى من الانكشارية ترفع الى السلطان اذا عريضة أخرى بالشكوى من صيارفة الشام رفعها اهلوها الى السلطان يشكون اليه ظلم اولئك الصيارفة واستبدادهم بالديوان • واحتجانهم المنافع • فلم يكن اهتمام السلطان بامر الانكشارية بالذي يصرفه عن النظر في امر اولئك الصيارفة • وتلبية نداء الدماشقة • فامر بعزلهم من (ديوان السرايا) والاستعاضة عنهم بغيرهم ممن يحسنون العمل • فأخذ حكام الشام ينظرون الفرص لتنفيذ الارادة السلطانية •

وكانت عقدة العقد في أمر هؤلاء الصيارفة انهم كانوا يكتبون (دفاتر الديوان) باللغة العبرانية التي لا يعرفها سواهم • ثم على تمادي الايام اصبحت تلك الدفاتر كأنما كتبت بالقلم (القلفطيري)(١) لا العبراني • واصبحت ارقامها وجداولها اشبه بالقلفطيريات • منها بالقيود والحسابات • بحيث لم يبق في وسع احد من الناس غير الصيارفة ان يهتدي الى فهم ما فيها • واكتناه اسرار معمياتها •

هذه كانت حالة (دفاتر الديوان) في ذلك الوقت • والى هذا الحد بلغت الحيرة في فهمها ، وحل رموزها • وكان الوزير من وزراء الشام اذا أراد عزل هؤلاء الصيارفة من (ديوان السرايا) وضبط الدفاتر وسحبها من بين أيديهم للوقوف على سرها • ودخيلة امرها — أدرك عجزه لأول وهلة وعلم ان من يخلفهم ، لايحسن عملهم ، ولا يكفي المهمّ مثلهم • وربما خشي الوالي ان تقع مالية الولاية وحسابات الديوان في التشويش والارتباك فيسكت على مضض ومض مقلق •

---

(١) (القلم القلفطيري) خط اليهود الذين يكتبون به التعاويذ والرقى بآيات من التوراة • ثم توسع كتاب العرب في استعمال (القلفطيري) و (القلفطيريات) فاطلقوها على كل ما كان من قبيل الطلاسم والرموز من الكتابات •

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان[١] اولئك الصيارفة يجتهدون في وضع خزائن الحكومة وايراداتها ومصارفها تحت أيديهم . ويسعون في الحصول على أوامر سلطانية تكون سنداً بايديهم تشير بتوظيف الصراف على خزينة الولاية الفلانية . وبهذه الصورة يأمنون على مراكزهم فلا يحق للولاة ان يعزلوهم متى شاءوا . ولا سيما ان الولاة يبدّلون كل مدة قصيرة كسنة وسنتين . ومن جراء ذلك تصبح الولاية للولاة بالاسم ، وللصيارفة بالفعل . والوالي يكون كمأمور يعمل بحسب رغبة الصرّاف الذي بيده الايراد والمصرف . ووظيفته مستقلة دائمة بامر سلطاني ، لا يقدر احد على معارضته . بل ان بقاء الوالي وعزله وإدانته وبراءة ذمته كل ذلك بيد الصيارفة : فان جاملهم وأطاعهم رحموه عند عزله . وقدموا له حساب الايراد والمصرف بدون خسارة . يفعلون ذلك لقاء مبلغ يقبضه منه صرّاف الباب العالي بالاستانة .

فخزينة إيالة الشام كانت في ذلك العهد بيد أفراد عائلة مخصوصة[٢] وبمساعيهم تعاظم غنى اليهود بدمشق . وكان اكبر[٣] صيارفة الخزينة من هذه العائلة . ومع قلة معارفه كان الأهالي يخشون سطوته ويحسبون حساباً لدهائه .

وكانت قرى دمشق بنوع أخص تضطر الى الاستدانة ، اذ ان أموالها الاميرية كانت مربوطة على السنة القمرية بسبب ترتيبها لمصارف ركب الحج الذي يكون تسفيره على الحساب القمري . والحساب القمري لا يتفق دائماً مع السنة الشمسية التي بحسبها يكون طلوع الغلال وأوقات زراعتها . فلذلك يضطر الفلاح ان يستدين لدفع مال الميرة الذي عليه . هذا عدا ما يلزمه لمصارفه الخاصة ولتقوية أمور فلاحته .

فهذه القرى يترتب لها مداينون يعطون الفلاحين مايحتاجون اليه من الدين بالربا . ويسمى هؤلاء المرابون عملاء او شوابصة . والشوابصة يكونون من صيارفة اليهود خلا

---

(١) التفصيلات الآتية عن أعمال اليهود في مالية الحكومة ملخصة من مخطوط الدكتور ميخائيل مشاقة الذي مرت الاشارة اليه والى مخطوطه وقد الفه في مساوي القوم وسماه (الايضاحات الجلية الخ) . (٢) هذه العائلة هي بيت فارحي . (٣) واسمه (روفائيل شحاده) واخوه واسمه (سلمون) .

قرى قليلة تكون لها علاقة بأحد أعيان المسلمين لكونها ملكه او وقفه ، فهو يدفع الاموال الاميرية عنها .

فمتى قرب موسم الحج وطلوع المحمل الى الحجاز تجتهد الصيارفة برفع أسعار النقود ويُقنعون باعة البضائع بأن ارتفاع أسعار النقود يرغب الأعراب القادمين للحج في مشترى بضائعهم ، فيصدق الباعة ذلك ، ولا ينتبهون لغرض الصيارفة ، فتصعد الاسعار غالباً بالمئة عشرين . وبعد سفر الحج ترجع الاسعار الى حالها .

فصرّاف الخزينة حينما يُطلب منه ثمن لوازم الحج او نقود للعساكر التي تسافر مع المحمل للمحافظة عليه وهي في حاجة الى شراء خيول وأسلحة — حينئذ يأخذ الصراف بالاعتذار بعدم وجود نقدية في الخزينة في الوقت الحاضر ، ثم يعطي العسكري ورقة حوالة على الخزينة فيضطر العسكري ان يبيعها للصيارفة الذين يكونون منتشرين حول الخزينة ولا يبرحونها في تلك الايام ، فيشتري الصيرفي الحوالة ويدفع ثمنها المئة ثمانين حسب أسعار النقد الرائج بوقتها ، ثم يسددها للخزينة عن مطلوبها من القرية التي يعاملها .

فالمئة المدفوعة منه للخزينة ورقاً لم تكن قد كلفت عليه سوى اربعة وستين بسبب رفع سعر النقود بالمئة عشرين او أكثر . ثم ان صراف الخزينة يحسبها على الفلاح عملة الخزينه و يضيف اليهـا عشرين فرق المعاملة فتصبح (١٢٠) ثم يضيف اليهـا المرابحة ومرتبات العميل التي يسمونها (الشوبصة) الى غير ذلك مما أثقل كاهل المزارعين ومعظم سكان الشام منهم . فكانت تتسرب أثمان حاصلاتهم الى جيوب الصيارفة وبذلك أصبحوا أغنى سكان دمشق .

ففي زمن ولاية (ولي‌الدين باشا) على الشام وذلك سنة (١٢٤١ هـ — ١٨٢٥ م) انتبه الى خيانتهم وانه لم يعد يجوز إئتمانهم على خزينة الحكومة . وكانت الشكايات تتابع الى الباب العـالي والاوامر السلطانية ترد تترى برفع الظلم وانصاف الاهالي . فكتب الوالي المذكور الى الباب العالي بلزوم عزل كبير [1] الصيارفة عن تولي امور الخزينة فلما شعر هذا بالامر هرب حالاً الى بغداد خشية ان يُناقش الحساب . فيحل به العقاب .

(١) وهو روفائيل فارحي الذي مر ذكره .

وبعد هربه أراد الوالي ان يعين خلفاً له فارتبك في الامر : لانه إن عين احداً مكانه من صيارفة اليهود بقي المشكل على حاله ، فبلغه ان في حمص رجلاً مسيحياً ماهراً في أعمال الصرافة والامور الحسابية وهو من عائلة معروفة[1] في حمص فدعاه الى دمشق وعينه صرافاً للخزينة مكان صرافها الاول . فقامت قيامة طائفة الصيارفة لهذا التعيين وحسبوه ضاراً بهم مسقطاً لمنزلتهم . فكتبوا الى كبيرهم روفائيل الذي هرب الى بغداد وجعلوا يعملون يداً واحدة في الاستانة على عزل والي دمشق وتعيين غيره . فوفقوا الى ذلك وعين صالح باشا للمرة الثانية وذلك في سنة (١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م) . عندها رجع روفائيل كبير الصيارف من بغداد الى وظيفته في دمشق . و يقال انه انفق في هذا السبيل (٣٥٠٠) كيس والكيس (٥٠٠) قرش فيكون المجموع مليوناً وسبعمائة وخمسين الف قرش .

ولما تبوأ كبير الصيارف مركزه وعاد الى سابق نفوذه لم يكفه عزل الصراف الحمصي بل جعل يدس الدسائس لقتله كي يكون عبرة ونكالاً لكل من اراد ان يتولى هذه الوظيفة من غير طائفة الصيارف . واخذ يبذل الاموال الطائلة الى الوالي (صالح باشا) ليحمله على قتل ذلك الصراف الحمصي المسكين . لكن الوالي كان رجلاً صالحاً فلم يخدعه بريق الذهب . ففكر في طريقة تنجي ذلك الصراف من كيد الصيارفة فعرض عليه الاسلام وقال له : انك ان اسلمت انقطعت عنك اطماع اعدائك وحفظت نفسك من اذاهم وامكنني ان أبقيك في (ديوان السرايا) رقيباً على الصيارفة ومشرفاً على الحسابات وسائر المعاملات . فلا تظل خزينة الحكومة تحت رحمة اولئك الصيارفة .

فانشرح صدر الرجل للاسلام فاعلن[2] اسلامه وسمي (محمد افندي هدايت)

(١) اسم الرجل اسكندر وعائلته تعرف في حمص باسم (بيت الكاتب) .

(٢) هذا ما نرويه في سبب اسلامه عن مصادر موثوق بها ولكن جاء في مخطوطة (نوفل نعمة الله نوفل) الطرابلسي التي تتضمن حوادث دخول ابراهيم باشا للشام المحفوظة في مكتبة (الجامعة الاميركية) ما يلي : (صالح باشا والي دمشق صادر سلمون وروفائيل شحادة فارحي الاسرائيليين كاتبي خزينة دمشق وعذبهما وسجنهما وكان قد اراد قتل

وابتهجت قلوب الدماشقة بذلك ما عدا طائفة الصيارفة بالطبع ·

وعد الناس فض المشكل على هذه الصورة من حسن ادارة الوالي (صالح باشا) وتلطفه في سياسته ·

ولو كانت هذه الحادثة في هذا الزمن زمن الصحف والجرائد لكان الصحافيون هم الذين يشنون الغارة على طائفة الصيارفة ويهيجون الرأي العام عليهم ·

اما في ذلك العهد (اي منذ مئة عام) فلم يكن في سوريا صحافة ولا صحف · ولا قيس ولا الف باء ولا تكسير اسواق ولا اقفال مخازن ولا اقامة مظاهرات وكل ما كان موجوداً في ذلك العهد شاعر خفيف الروح · سريع الخاطر · حاضر النكتة · لايدع شاردة من حوادث زمانه تفلت من دون ان ينظم القصائد فيها و ينبه الافكار اليها · اعني به (الشيخ امين الجندي) شاعر حمص بل شاعر الشام في تلك الايام ·

فلا جرم ان يكون الشيخ امين من اشد الناس سروراً باسلام ابن بلده (هدايت افندي) فاحتفل لهذه الحادثة ايما احتفال ونظم قصيدة لامية دوّن فيها حكاية الصيارفة وقبح اعمالهم ووصف حزم الوالي صالح باشا واسلام (هدايت افندي) وافتتحها بمدح السلطان محمود الذي اصدر امره بعزل اولئك الصيارفة · وقال في مطلعها [1] :

وافتك بالعز خود زانها الطول بدنعة لحظها بالسحر مكحول

سكندر الحمصي الكاتب فاسلم فنصبه عوض اليهودي وسماه (هدايت افندي) واحضر رماناً بعدم استخدام اليهود بعد ذلك في امانة صندوق الشام ثم بعد مدة وجيزة قتل اسكندر المذكور واستكفي بعبد الله نوفل الذي استخدمه بمحله اه · اقول ولكن سيأتي معنا ان الذي قتل اسكندر هو رؤوف باشا لا صالح باشا الذي اسلم في زمنه وان السبب في قتله وشاية الصيارف به لمزاحمته لهم في امور الخزينة و بذلك يخلصون من شره · ولعل فعل (قتل اسكندر) بضم القاف مبنياً للمجهول وكذلك فعل (استكفي) فيكون في ذلك اشارة الى ان القاتل هو الوالي الذي خلف صالح باشا ·

(١) ديوان الجندي طبع طبعتين: في احدى الطبعتين نشرت القصيدة برمتها وفي الاخرى نشر مطلعها وابيات المدح التي قيلت في السلطان محمود فقط ·

ومازال شاعرنا الجندي يتغزل بالخود الذي زانها الطول ، ولحظها بالسحر مكحول ، حتى قال في مدح السلطان محمود :

(أتى السلاطين محمود الفعال ومن بالعز والنصر محفوف ومشمول)
(فكم معارك حرب قد أباد بها حزب الضلال فولى وهو مخزول)
(من فوق طرف كان الصبح شق له من نوره غرة بيضا وتحجيل)
(في حلة من سنا التقوى يزينها بأس وحلم واحسان وتنويل)
(ما تمسك المال عن راجيه راحته الا كما يمسك المال الغرابيل)
(نشكو لعليائه ما قاست رعيته من البلايا وعقد الصبر محلول)
(حيث استطالت بقطر الشام طائفة على البلاد ، وهم قوم مناكيل)
(وقد منهم مواليناً وما علموا بأن تقديمهم جور وتضليل)
(مدوا من المكر اشراكاً وطبعهم على الخداع وقول الزور مجبول)
(صادوا بها كل نسر في الثرى وغدوا نسر السما فانثنوا والعزم مفلول)
(هم في التقلب كالأفياء ثم وفي تلونهم قل هم الحرباء والغول)
(قد كان من سحرهم ان الوزير متى أصغى لهم قال : مهما شئتمو قولوا)
(كم مرة مكروا بالاير باء وكم خانوا وزيراً له بالعدل تجميل)
(وكم الى السجن قادوا غافلاً فمضى منكس الرأس بالاصفاد مغلول)
(من عهد سبعين عاماً هم صيارفة اذا مضى منهمو جيل أتى جيل)
(حيث الدفاتر عبرانية رقمت خلاف ألسنتنا والسر مجهول)
(وليس يعلم أتراك ولا عرب ما خط فيها ولا المنقول معقول)
(وكل ما تحتويه باطل كذب بل انها كلها زور وتخييل)
(ظنوا بأن امور الحج بعدهمو ينالها ترتيبها بخس وتعطيل)
(شيدت على الشح والشكوى بيوتهمو فليس فيها لضيف قط مأكول)
(أموال مكة ماذا يصنعون بها ؟ ما آن أخذ لها ما آن تحصيل ؟؟)
(لمال كل وزير قد مضى ورثوا حياً وميتاً : فهل في ذاك تحليل ؟)
(فيا أولي الامر ما هذا التهاون في أمر عظيم به ألحق تذليل ؟)

(أما اتى : (كل راعٍ عن رعيته ... يوم الحساب لدى الجبار مسؤول ؟)
(فكيف ترجون عهداً للذين هم ... بُهْتٌ شحاح ·مشائيم مناكيل)
(كم بالربا سحبوا ذيل الخراب على ... أهل البلاد وكم قالوا لهم : زولوا)
(حتى اذا ألهم المولى خليفته ... في قمعهم — إمَّحت تلك الاباطيل)
(بصالح الوزراء الصدر أصلح ما ... قد أفسدوه وسترُ الله مسدول)

ثم ذكر مناقب صالح باشا وعدّدها فقال :

(منها بنى جامعاً فيه الصلاة زكت ... وقد حلا فيه للقرآن ترتيل)
(كذاك إسلام ذي رشد على بده ... حرٍّ عفيف له فكر ومعقول)
(ملقب (بهدايات) وحيث سمي ... (محمداً) فله في ذاك تفضيل)
(لولاه ما بان مكرُ القوم قط ولا ... من رقمهم ظهرت تلك التهاويل)
(الله أكبر ذا أمر قد انشرحت ... منه الصدور · وذا باع له طول)
(سُرت بإيمانه اهل الهدى وعلا ... لعُصبة الحق تكبير وتهليل)
(كم ذا أراد العدى ان يخذلوه وقد ... خابوا فكانوا هم النكس المخاذيل)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى ان قال في ختام هذه القصيدة الفريدة :

(أو ما أمين محمص الشام فيه شدا ... وافتك بالعز خود زانها الطول)

هذا ايها السادة ما وقع في الشام · منذ مئة عام من خبر صيارفة اليهود · واستفحال شرهم · وتدارك امرهم

ولكن هل اصطلم الشر · واستؤصلت جذوره بالمرة بحيث لم يبق لسلطة الصيارفة اثر ولا تأثير في حكومة دمشق بعد ان تقلص ظل ولاية (صالح باشا) ؟ كنت اظن ذلك حتى ذكر لي بعض الفضلاء [1] من اصدقائنا المسيحيين حادثة وقعت لابيه في زمن ولاية الوالي الذي خلف (صالح باشا) واسمه (رؤوف باشا) او (عبد الرؤوف باشا) وولايته كانت سنة (١٢٤٤ هـ — ١٨٢٨م) ويفهم مما ذكره هذا الصديق أن نفوذ

---

(١) هو المرحوم الياس بك قدسي ابن عبده بك قدسي من وجهاء النصارى في دمشق واحد اعضاء مجمعنا العلمي ·

الصيارفة وصولتهم عادت الى أشد ما كانت عليه · — قال ان والده عبدو بك تعرف في عهد حداثته برجل اعمى من اهل دمشق يدعى (حميصه) سمي بذلك لانه من مدينة حمص · وقد اتفق معه على الاشتغال بالصرافة · وكان حميصة هذا نشيطاً جريئاً عارفاً باصول هذه المهنة واقفاً على اساليبها الناجحة غير انه اعمى العينين لايمكنه التجول ولا التنقل من مكان الى آخر وهو امر ضروري للصراف فاتفق مع عبدالله (عبدو) والد صديقنا على ان يقوده من مكان الى مكان و يغشى به الجامع حيث التجار والمرابون وارباب الاموال · وهناك يعملون معاً على الكسب · و يكون الربح الحاصل من ذلك بينهما بالسوية · قال وكانت لطائفة الصيارفة صولة في تلك الايام وتمكن من نفوس حكام الشام · فكانوا يخفضون سعر العملة اياماً ثم يرفعونه فجأة وبذلك يربحون ارباحاً عظيمة · و يجعلون من هذه الارباح نصيباً مفروضاً للحكام الذين يطالمونهم على سرهم · ويشار كونهم في سحتهم · ومن جملة اعمالهم انهم كانوا يسحبون من النقود المتداولة شيئاً من فضتها وذهبها وذلك ببردها بالمبرد او بالقطع منها · فاخترع عمال (الضرب خانه) طريقة لوقاية النقود وحفظها من السرقة فجعلوا حولها على دوائرها زنجيراً متيناً مخرماً فاذا سرق شيء من طرف النقد بالبرد او القطع انثلم النقد وعرف الناقص من غير الناقص من الدنانير لكن الصيارف احتالوا بحيلة جديدة وهي انهم جعلوا يغطسون نقود الذهب والفضة بمحاليل كيماوية ثم يأخذون ماانحل منها في الماء من دون ان يظهر على النقود نقص او برد او حك او تلاعب في الزنجير ·

قال الصديق : ثم ان حكومة الشام أعلنت (باقتراح من الصيارف) ان الايام الفلانية والايام الفلانية لايجوز الاشتغال فيها بالصرافة ومن خالف جوزي جزاء صارماً ·

فاما (عبدو) وشريكه (حميصة) فقد حسبا ان هذا المنع لايتناولهما لان عبدو شاب لم يزل حديث السن وشريكه حميصة أعمى · وتعرفون ايها السادة انه ليس على الاعمى حرج ·

غيران الصيارفة ماكانوا يؤمنون بهذه الآية القرآنية بالطبع فوشوا بهما الى والي الشام (عبد الرؤوف باشا) فطلبهما اليه فدخلا عليه وهو في الديوان وعنده كبير الصيارفة · فجعل (عبدو) يعتذر بصباه · ورفيقه حميصة يبكي شجوه و يندب عماه · واخذ كبير

الصيارفة يقطع حديثها • ويهول الامر عليها • و يغري الوالي بها • حتى احفظ قلبه فأمر بشنقها •

وكانت سراي الوالي رؤوف باشا يومئذ في البرامكة حيث الكشك المعروف اليوم على طريق محطة البرامكة المطل على المرجة وقد كان في زمن الحرب العامة نادياً (كلوب) للضباط العثمانيين • وبعد ان كبر عبدو بك القدمي وشاخ كان كلما مر بذلك المكان مع ابنه صديقنا الياس بك يشير الى موقع السراي ويحكي لابنه حادثة صبوته هذه وحادثة رفيقه حميصة الحمصي وكيف امر الوالي رؤوف باشا بشنقها •

غير ان الله تداركها بلطفه وعنايته فحبسا اياماً ثم خلّي سبيلها بشفاعة بعض الشافعين • من أعيان الدمشقيين •

فيستدل من هذه الواقعة ان نفوذ اولئك الصيارفة استمر بعد زمن صالح باشا وبقي الى زمن ولاية رؤوف باشا وكان رؤوف باشا هذا ظالماً قاسي القلب كما سمعتم من خبره مع حميصة • بل ان له خبراً آخر أدل على ظلمه وخبثه ذلك ان طائفة الصيارفة في زمنه عادوا الى دس الدسائس للانتقام من الصراف الحمصي (محمد افندي هدايت) الذي أسلم في زمن صالح باشا • فيقال ان اولئك الصيارفة مازالوا يطمعون (رؤوف باشا) بالمال ويزينون له البطش بذلك المسكين بغتة بلا سؤال ولا جواب حتى قتله [1] ، واستلت طائفة الصيارفة الخزينة واستبدوا بها من دون مشارك ولا معارض •

ثم مات رؤوف باشا وخلفه في ولاية دمشق (سليم باشا) وهو الذي ثار عليه اهالي دمشق لكونه فرض على العقارات ضريبة (مصريتين) فقتلوه سنة (١٢٤٧هـ — ١٨٣١م) وفي السنة التالية زحف المصريون بقيادة (ابراهيم باشا) واستولوا على بر الشام فحفظوا مال الخزينة من اولئك الصيارفة بقدر الامكان وتوصلوا الى ذلك بتعيين (يحيى افندي) وهو يهودي من حلب كان اسمه (بيخور) فأسلم وسمي (يحيى افندي) وكان حاذقاً في امور الصرافة والمعاملات المالية •

ثم من يومئذ صلحت الاحوال ، وانتظمت الاعمال ، وتوفرت في الخزينة الاموال ،

(١) راجع هامشة ص ٦٤٧ من هذا الجزء •

ولم يعد لصيارفة الشام تأثير كبير في نفوس ولاتها بل كان كلما جاء احد هؤلاء الولاة الى دمشق اضطر كبير الصيارف ان يتوسط بعض أعيانها في ان يقدّمه الى الوالي و يعرّفه مكانته ووجاهته في قومه ٠

لكن كان كبير الصيارفة لا يصل الى بين يدي الوالي و ينال منه حظوة حتى يبذل للواسطة اموالاً طائلة ٠ فكان الصيارفة يتحملون من هذه الوساطة والنفقات التي ينفقونها في سبيلها كلما جاء والٍ جديد ٠ فاستنبطوا للخلاص من ذلك حيلة غاية في الرقة واللطف والذوق ٠

ذلك ان كبيرهم (شمعايا) بنى قصره الشهير في (دمّر) على قارعة الطريق الاعظم المؤدي الى الشام فصارت طائفة الصيارفة اليهود لا يدعون والياً يدخل الشام حتى ينزلوه ضيفاً عزيزاً في هذا القصر على الرحب والسعة ٠ مما يذكرنا بقول شاعرنا العربي مع ملاحظة الفرق بين النيّتين :

(ضربوا بقارعة الطريق قبابهم يتقارعون على قِرى الضيفان)
(و يكاد موقدهم يجود بنفسه حب القِرى حطباً على النيران)

ففي خلال إقامة الوالي في (قصر شمعايا) وحفد القوم في خدمته والانفاق من سعة على ضيافته تُوثق بينه وبين كبار الصيارفة روابط الصداقة والمحبة ٠ وبنفقات قليلة في (قصر شمعايا) استغنوا عن نفقات كثيرة كانوا يبذلونها لاعيان الشام لاجل تقديمهم الى الولاة عدا ما يصحب ذلك من التملق والتذلل وتحمل المنة ٠ فما ألطفها حيلة ، وما اسهلها وسيلة ٠

وهكذا أيها السادة انطوى ذكر الدور العجيب الذي كان يمثله صيارفة الشام ٠ منذ مئة عام ٠ ولم يبق من أثره سوى هذا القصر الذي يشهد على ما كان منهم في سالف الايام ٠

« المغربي »

مشروع بكتابة الحركات (١)

بحروف عربية

[واستعمال أبجدية واحدة للطبع والكتابة]

مقدمة « موجزة »

من المعلومة ان الكتابة العربية قد مرت عليها تغيرات متعددة متوالية حتى وصلت الى شكلها الحاضر وان هذا الشكل يحتاج الى اصلاح يدنيه من المثل الاعلى لاظهار صوت كل حرف في الكلمة فالكتابة الحاضرة « غير المشكولة » لا توضح سوى نصف او ثلث اصوات حروف الكلمة فيحدث الخطأ في قراءة اللغة الفصحى ومن ثم عدم انتشارها حتى بين المتعلمين من اهلها وكذلك تنوع رسم الأبجدية رقعة ونسخ وغيرهما وتعدد صور الحرف الواحد الى اربعة أشكال ثم الحركات الثلاث ثم التنوين والشدة والسكون فتبلغ الاشكال اكثر من ٢٣٠ شكلاً في الكتابة واما في الطباعة فتبلغ ٨٤٠ شكلاً بالطريقة المشكولة و ٣٢٠ شكلاً بالطريقة غير المشكولة ، وكتابة الهمزة التي الف بعضهم كتباً خاصةً في كتابتها لصعوبة ذلك وال الشمسية والقمرية وزيادة بعض الحروف في الكلمة ونقص البعض في الأخرى كل ذلك من مقلصات انتشار اللغة العربية التي من واجب كل متعلم ان يسعى لتسهيل نشرها ٠

ولكن بهذه الطريقة لا يحتاج لدراسة سوى ٣٢ شكلاً للحروف فيقرأ و يكتب بشكل واحد بسهولة واتقان وبذلك نكون قد وفرنا على الطالب ٦/٧ الوقت الذي يصرفه في تعلم الاشكال المتعددة للحرف ولا يتقن القراءة والكتابة ولا ينكر ان في هذه الطريقة اقتصاداً عظيماً اذ يقتصد ٦/٧ مجهود التلميذ والمعلم ووقتهما فيستثمر ذلك المجهود المقتصد والوقت في الحصول على تقدم آخر ٠ وقد وجدت كذلك ان التلاميذ بعد أن كانوا يقرأون بسهولة حينما كانت الكتابة مشكولة بفضل أساليب التربية الحديثة أصبحوا

(١) خلاصة مقال بعث به الفاضل السيد زهير الشهابي بالقدس ٠

لا يضبطون الا قراءة كلمة او كلمتين فقط من السطر في الكتابة غير المشكولة ·

وكل منا قد جرب بنفسه انه كثيراً ما يحتاج في ضبط لفظ كلمة جديدة تمر عليه الى مراجعة القاموس (ولا يخفى ما في ذلك من المشقة وضياع الوقت) وليس ذلك لتقصيره في التحصيل او لقلة إلمامه بل لأننا نكتب نصف او ثلث الكلمة التي نتكلمها وليس عندنا سليقة نعتمد عليها في ضبط قراءة ما نريد كما هي الحال عند الامم الاخرى ·

ويدعي البعض ان الكتابة العربية مختزلة وذلك صحيح الا انه ليس من المحسنات بل هو جرثومة عدم انتشار اللغة الفصحى فيسهل على اللغات الاخرى مزاحمة العربية في عقر دارها ·

وهنا يخطر على البال السؤال الآتي :

ولما ذا لانكتب بالحروف المشكولة ؟ (كما سألني الدكتور موريتز المستشرق الالماني اثناء حديثي معه بهذا الموضوع وقد نشر في مقتطف تموز سنة ١٩٢٩) وهنا أعيد جوابي اليه وهو :

ان للكتابة المشكولة تكاليف عظيمة متعددة منها :

(١) انها كتابة ٣ سطور في آن واحد (نفس الكلمة ثم الحركات التي فوقها فالتي تحتها) ·

(٢) لان الحركات تحتاج حين الكتابة لرفع اليد مرات بعدد حروف الكلمة او اكثر ·

(٣) لان القارئ والكاتب يضطران الى قراءة وكتابة ٣ سطور في آن واحد · ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة وضياع الوقت ·

(٤) صعوبة طبع الحروف المشكلة وذلك ان الطبع المشكل يحتاج الى ٨٤٠ شكلاً فيتضاعف الشغل والوقت ومن ثم اجرة الطباعة في حين ان الطباعة العادية لا تحتاج الا الى أقل من النصف اي ٣٢٠ شكلاً ولعمر الحق ان هذا لكثير ايضاً · هذا في الوقت الذي فيه طباعة اللغات الاوربية تكتفي بـ ٥٨ حرفاً · واما الطباعة العربية في المشروع الجديد فتحتسب بـ ٣٢ شكلاً بدل ٨٤٠ شكلاً فتصبح أضبط لفظاً وأوفر كلفة ووقتاً من الكتابة المشكولة وغير المشكولة ·

(٥) ان الحركات ليست الا حروفاً صوتية قصيرة فمن الخطإ اعتبارها حركات كما هو واقع في العبرية فيجب كتابة الحركات في صلب الكلمة لافي حواشيها او حذفها بتاتاً .

ولا بد في هذا المقام من بيان ان هذا الاصلاح في الكتابة العربية ليس بدعة كما هو معلوم لجمهور المتعلمين من العرب والمستشرقين فلم يكن الخط معجماً ولامشكولاً في صدر الاسلام فقد كان مثلاً حرف (ب) غير المنقوط يدل على ب ، ت ، ث وكذلك حرف (ع) فكان يدل على ع ، غ معاً وهكذا ... فاصلاح الكتابة العربية له سوابق كما هو معلوم .

« المشروع »

مما مضى يستنتج ضرورة اصلاح الكتابة العربية بصورة تطابق القراءة والكتابة كل منهما الاخرى وقد وفقت لتحقيق ذلك بعد مجهود ٩ سنوات حتى وصلت الى هذا المشروع الاخير من بين ثلاثة مشاريع وقد بنيته على الشروط الآتية :

١ — ان تكون جميع حروف الابجدية عربية سواء منها الحروف الاصلية ام الحروف النائبة عن الحركات ليبقى الاتصال موجوداً بين الكتابة المهذبة وبين الكتابة الاصلية .

٢ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد سواء حروف اول الكلمة ام وسطها ام آخرها فلا يكون سوى ابجدية عربية واحدة .

٣ — ان تكون الابجدية العربية بشكل واحد للطبع والكتابة فلا تتغير .

٤ — ان تكون الابجدية العربية بصورة يسهل معها كتابة الحروف منفصلة ام متصلة حسب الرغبة دون تغيير في شكلها .

٥ — ان تكون الحروف النائبة عن الحركات عربية الشكل قابلة الاتصال بما قبلها وما بعدها تسهيلاً للكتابة .

٦ — ان نكتب الكلمة كاملة كما هو لفظها الفصيح فلا نحذف حرفاً ولا نزيد آخر تخلصاً من الالتباس والتشويش .

***

« الابجدية الكاملة »

حرف فتحة

ا ـ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ ط ظ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ

حرف ضمة   حرف كسرة حرف همزة

ن هـ و   ء ي

وقد وجدت ان أفضل الأبجديات العربية هو اتخاذ الشكل الأول لحروف النسخ كأس أبجدية واحدة للطبع والكتابة تحقيقاً للشروط الثاني والثالث والرابع لان هـذه الحروف موجودة في المطابع فلا لزوم لشراء حروف جديدة كما فعل الأتراك فضلاً عن انها قابلة الاتصال والانفصال حسب الرغبة وان جميع الكتب مطبوعة بهـا فيبقى الاتصال موجوداً بين الكتابتين : القديمة والحديثة هذا فضلاً عن بساطة شكلها وصغره اه ٠

* * *

واحيل هذا المقال الى حضرة الاستاذ صاحب الامضاء فعلق عليه ما يلي :

. . .

نظرت في مقترح السيد زهير الشهابي فالفيته اقتراحاً حيوياً للغة العربية يسد الخلل والنقص اللذين يشعر بهما من يقرأ هذه اللغة ولو انه من أكابر المتضلعين منهـا ٠ وانتم تعلمون ان هذا الاقتراح هو رأيي ما زلت اصرح به واناقش منذ سنين ٠

ولا اعتراض لي على ما أتى به المقترح الا من وجهين :

اولها : اني لم أتبين من مقالة اذا كان يريد ان يحول الحركات بجملتها اللغوية والنحوية الى حروف ام هو يريد ذلك للحركات اللغوية فقط ، يعيدها حروفاً مثبتة في صلب الكلمة ٠ فاذا كان هذا فقد توافقنا ، وان كان يريد ذلك لحركات الاعراب التي تلحق أواخر الكلم ، فهذا ما تبدو لي مخالفته فيه لسببين :

أ — ان الحركات النحوية يسهل ضبطها وادراكها ، فليس فيها من الصعوبة ما في الحركات اللغوية ٠

ب — ان ابدال الحروف بالحركات الاعرابية يؤدي الى كتب الكلمة الواحدة في صور متعددة بحيث تكاد اللفظة تخرج عن ان تكون كلمة واحدة ، وفي هذا مشكلة جديدة .

ثانيها — يتعلق بشكل الحروف الذي يقترحه . فالحروف العربية — ولا بد من قول الحق — بشعة على شكلها الحاضر والشكل المقترح يزيدها بشاعة وقبحاً . وعذر المقترح :

أ — ان فيها توحيداً كاملاً لأنواع الحروف .

ب — انها حروف موجودة في المطابع فلا حاجة الى شراء حروف جديدة .

وليس هذان بالسببين الكافيين :

ذلك ان الحروف يجب ان تكون موحدة الشكل لا النوع . بمعنى ان الحرف ينبغي ان يكون شكله هو اياه في اول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها ، هذا ما لا أخالف فيه . ولكن ان توحّد انواع الحروف كتابة وطباعة فهذا ما يستصعب جداً ، وليس له من مثيل في لغة من اللغات . فالحروف اللاتينية وهي اليوم من اشهر الحروف واعمها في الاستعمال ، حروف الطبع فيها غير حروف الكتب ، تلك منفصلة وهذه متصلة . وفيها الحرف المعروف بالثلياني ، والحرف المعروف بالغوتي ، وغيرهما . فضلا عن الاحرف الكبيرة التي تعرف بـ (الكبيتال) او (المجسكيل) .

نعم ان التوحيد خير من التعديد ، وانا لسنا مقيدين بمذاهب اليه غيرنا ولكن استعمال حرفين : واحد للطباعة وآخر للكتابة امر لا بد منه ، والحرف الذي اختاره المقترح انما هو حرف من حروف اول الكلمات فهو لا يتصل مع ما بعده ولا يتصل ما بعده به ، فلا بد للمطابع ان تغير شكل حروفها في كل حال .

وليس تغيير حرف من الرصاص يستعمل في فترة قصيرة من الزمن بالامر الذي يهتم له في مثل هذا الانقلاب الخطير .

وخلاصة ما أراه ان تبقى الكتابة العربية على ما هي عليه وفي ذلك فائدتان :

أ — اختصار الوقت .

ب — إبقاء الميراث الادبي القديم حياً اذ تنزل الكتب المطبوعة قديماً منزلة الكتب الخطية . وما يطبع بعد ذلك يطبع بالحروف الجديدة .

ولا يرد على ذلك ان مشكلة الحروف لا تحل مع هذا التعديل حلاً نهـائياً اذ تبقى اشكال الحروف الكتابية متعددة · فمشكلة الحروف اليوم انما هي مشكلة الطباعة لا الكتابة · والكتابة مستقبلها مهدد بانتشار الطباعة ، والآلات الكاتبة ، واستعمال حروف عربية جديدة يزيد في انتشار هذه الآلات الكتابية كثيراً ·

هذا واني وان كنت أصوب رأي الاستاذ المقترح في التقيد باشكال الحروف المستعملة اليوم · فلااری ان يكون التقيد مطلقاً ضيقاً ، بل يراعي رونق الحرف وجماله · مع مراعاة الصلة على قدر الامكان · ولا بأس بان نستعين بشيء من الحرف الكوفي او المغربي او غيرهما اذا اعوزنا الامر ·

ولقد بدا لي منذ فكرت في هذا الامر أن اضع اشكالاً لحروف العربية فوفقت — أو خيل الي اني وفقت — الى بعض حروف ولم اوفق الى البعض الآخر وانا اقدم صوراً عن بعض هذه الحروف مثالاً ينظر فيـه من هم أبعد نظراً وأدق رأياً في مثل هذه الامور ·

على ان ثمة امراً ما ينبغي لنا ان نغفله : ذلك ان هذه الحروف العربية وان كانت حروفنا فقد اصبح لنا فيها شركاء من بعض الامم الشرقية الاسلامية فمن الرأي ان يعقد مؤتمر عام تدعى اليه الشعوب التي تستعمل في كتابتها حروفنا العربية فيوفد كل منها من يمثلها ليكون العمل اصح واعم ·

* * *

ARCHIVE

والحروف بشكلها هذا قد روعيت صورها الاصلية على قدر الامكان ·

امّا الحركات فتصير حروفاً على هذا الشكل :

ل اَ اِ — فتكون الضمة مصغر الواو ، والفتحة والكسرة كرمي توضعان عليها · او يختار شكل آخر يكون اكثر موافقة ·

او تكون الالف (ا-ا) مضاعف الالف الحاضرة او (٥) مما يقرب من رسمها الديواني ·

والفتحة (ا) اي نصف الالف والكسرة (!) نصف الياء كما هي حقيقتهما ·

لَحَق — هذا ماسبق فأجبت به عن الاقتراح · وازيد على ذلك : ان الحروف (ر ز ص ض ط ظ م) لم أُوفق فيها الى شكل يرضي فأترك أمرها وأمر اصلاح الحروف التي عرضتها وتغييرها تعديلها الى من هم اولى مني بهذا العمل الفني ·

عارف النكدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفيلسوف الفارسي الكبير (١)

صدر الدين الشيرازي

[حياته وشخصيته وأهم اصول فلسفته]

بسم الله تعالى وله الحمد

في فجر القرن الحادي عشر ظهر في (فارس) من مدينة (شيراز) رجل فارسي المحتد حقيق ان يعد من اعظم الفلاسفة الاثولوجيين الذين نظروا في ملكوت السموات والارض وكانوا من الموقنين ٠

وهو صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي وكان ظهور هذا الفيلسوف الالآهي الكبير الذي سنأتي على صورة جلية من حياته وشخصيته وفلسفته في عصر كان نجم الفلسفة ضئيل النور لا ناصر لها الا فئة قليلة ممن اختارهم الله لنصر العلم وكان رجال الفكر يستترون وراء ستار التقية حقناً لدمائهم وكانت صولة اهل الجمود شديدة قوية وقلم الفقهاء وخصوم الفلسفة أمضى من السيف ولو لم يكن لمذهب التصوف بعض نور وانصار قليلون من الذين استنارت قلوبهم بنور العقل لكان هذا الفيلسوف الالآهي صريع جهل أهل عصره وقتيل عصبيتهم ولكان جزاؤه على علمه جزاء شهاب الدين السهروردي — القتيل الشهيد — على فكره ٠

هيأ الشرق في كل عصر للعالم رجالاً كباراً وحكماء عظماء منهم من ملأت البسيطة شهرته ومنهم من مات مجهولاً في زاوية غربته ٠ وممن لم يعرفوا حق المعرفة هذا الفيلسوف الرباني الجليل الذي لاشك انه من حسنات القرن الحادي عشر يحق ان يعد من فطاحل الحكماء امثال (ابن سينا) و(ابن مسكويه) و (نصير الدين) الطوسي الفلكي والامام (الغزالي) من الفرس و (ابن رشد) و(ابن باجة) و (محيي الدين بن عربي)

---

(١) هذه الأطروحة بقلم ابي عبدالله الزنجاني عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ٠

من العرب وامثال (سقراط) و (افلاطون) و (ارسطو) وامثال (سپينوزا) [١] (Spinoza) و (مالبرانش) [٢] (Malebranche) من رجال الغرب ·

اخترت للاطروحة وصف حياة هذا الفيلسوف وشخصيته واهم فصول فلسفته لاسباب :

الاول انه خدم اللغة العربيـة أعظم خدمة اذ أخرج كنزاً عظيماً من درر الحكمة ولآلئ العلم : من فلسفة اللاهوت والأخلاق والتصوف والحديث بلغة الضـاد ووضع كتباً تبلغ اربعة واربعين او خمسة واربعين كتاباً ورسالة بتلك اللغة [٣] وهذا مما زادت به ثروة العلم فهذه الخدمة احرى ان تقدر ولا سيما من علماء العرب ورجال الادب في الشرق والغرب كافة ·

الثاني ان روح فلسفته وان غشاها حيناً بالفاظ معماة ولا تظهر الا للمتضلع من فلسفته واصطلاحه ترفع الخلاف في كثير من المسائل التي طالما احتدم الجدال فيها بين الفلسفتين الروحية والمادية ، وان شئت قل انها ترفع الخلاف بين عدة مسائل كان الخلاف فيها بين الفلسفتين جوهرياً كالخلاف بين مذهبي أزلية المادة (العالم المادي) وحدوثها ووجود القوة المبدعة الخالقة المعبر عنهـا (بالله) واثبات الشعور العام المعبر عنه بالعلم له ووجود الحكمة والغاية من الخلق في جميع اجزاء الكون وعدمها وهذه المسائل يحث عنها في درس مذهبه الفلسفي ثم اردفت البحث في هذه المسائل برأي هذا الفيلسوف في اثبات الشعور لذرات المادة المعبر عنها في اصطلاح الفلسفة الاغريقية بالهيولي من جماد ونبات : كرأي العالم النباتي الهندي (جاجاديس بوز) [٤] ·

---

(١) (سپينوزا) فيلسوف آلهي شهير ولد في أمستردام سنة ١٦٣٢ وهو من انصار مذهب وحدة الوجود (البانتيسم) قال الدكتور (رابو برت) في شأنه انه كان مملوءاً بحب الله حتى اصبح لا يرى أمامه الا الله توفي سنة (١٦٧٧م) · (٢) فيلسوف آلهي فرنسي ولد في باريس سنة ١٦٣٨ كان يسعى في سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة وكان يقول يجب ان نحب الله حباً تاماً توفي سنة (١٧١٥م) · (٣) عثرنا على كتبه الا القليل منهـا فوجدناها باللغة العربية سوى رسالة صغيرة بالفارسية كتبها في مبادي عرفانية ·

(٤) جاجاديس بوز هو عالم نباتي هندي يعدّ من مفاخر الهند في هذا العصر اعترفت

ثم جعلت مسك الختام كلمة صدر الدين في العشق وفيها اعتراف منه بفضل الدمشقيين ودمشق ·

الثالث ان أوجه انظار اهل العلم من الشرقيين والغربيين الى افكاره النيرة وآرائه وفلسفته الروحية والى كتبه النفيسة التي هي مرآة افكاره وافكار عظماء الفلاسفة كسقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم من فلاسفة الاغريق والفرس والروم واتباعهم كابن سينا والفارابي وامثالها ·

ولا انتشار لكتبه القيمة الا عند الخواص من العرب والفرس ، على ان قدره لم يخف على بعض علماء اوربا وكتابها فان العالم (كونت دوغوبينو (Comte de Gobineau) السفير الفرنسي الذي أقام من سنة (١٢٧١ هـ الى ١٢٧٤ هـ) في طهران كتب في كتابه (المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى) (Les Religions et les philosophies dans l'azie Centrale) فصولاً عنه لا تتجاوز بضع صحائف ·

وورد ايضاً ذكره مختصراً بقلم المستشرق (كليمان هوار) في معلمة الاسلام التي تنشرها جماعة من المستشرقين · ولكن الاول منها وفقاً لموضوع كتابه بحث عن ناحية اثره في الفلسفة وتأثير فلسفته في اهل عصره · والثاني اعتمد على ما كتبه الكونت (دوغوبينو) في كتابه المذكور وعلى مصادر فارسية وقفنا عليها جميعها ·

« شيراز وطن صدر الدين »

وهي من مدن ايران الجنوبية واقعة على بعد (٢٩) درجة و (٢٧) دقيقة من العرض الشمالي و (٥٢) درجة و (٤٠) دقيقة من الطول الشرقي من (كرينج لندن) و (٦٠) كيلو متراً من اتلال[1] استخر الذي يسميه الافرنج (برس بليس) ويسمى ايضاً (تخت

له اوربا بما أسداه الى المعارف الانسانية من يد واعلنت فوزه بالوصول الى ما كان يتمنى الوصول اليه غير واحد من علمائها الذين بلغوا الذروة العليا بتحقيقاتهم ، وهو الذي اخترع الجهاز (الكرسكوغراف) المغناطيسي الذي يجعل الحركات التي لا ترى بالعين المجردة اكثر وضوحاً بخمسين الف الف ضعف واظهر به للملأ حياة النبات وحركته ·

(١) (المجمع) لعل المؤلف يريد اطلال اصطخر ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جمشيد) اي (عرش جمشيد) وفيه آثار جميلة وصور بديعة هي آيات خالدة تدل على عظمة الملوك الفارسيين القدماء واحرق الاسكندر هذا البناء الجميل العجيب الصنع الشهير باعتدال هواء وصفاء مائه العذب وجمال رياضه الفتان وبهاء حقوله تجلت فيه الطبيعة بباهر ذلك الجمال الذي حرك اوتار نفس السعدي الشاعر الفارسي الطائر الصيت فقال :

خوشا تفرج نوروز خاصه درشيراز كه بر كندندل مرد مسافراز وطنش
عزيز مصر چمن شد جمال يوسف گل صبا چودر چمن اوردبوي پيرهنش

اي حبذا التفرج في نيروز[1] ولا سيما في شيراز التي تنسي الغريب وطنه والمرج او الروض اصبح كعزيز مصر والورد لجمال يوسف حين اتى الصبا اليه بشذا قميصه ٠ وهذا وصف جميل بديع لهذا البلد الطيب ٠ واهله اذكياء الشاعر متلهبو الذكاء امتازو بصفاء الروح وجمال الصور تتدفق خواطر كثير منهم بالشعر مشهورون بالميل الى اللهو والترف

بنى هذه المدينة اولاً شيراز بن تهمورث ثم جدد بناءها بعد الخراب محمد بن القاسم ابن عم الحجاج في صدر الاسلام وكانت معسكراً للمسلمين لما هموا بفتح استخر (اصطخر) وكانت عاصمة (آل بويه) وغيرهم من الملوك وعاصمة (كريم خان) الزند ٠ وقد أنجبت غير واحد من رجال العلم المشهورين من الفلاسفة الكبار والشعراء العظماء ٠ كالامام ابي اسحق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ والعلامة قطب الدين محمود بن مسعود تلميذ نصر الدين الطوسي الفلكي وصاحب الاختيارات في (الهيئة) وحل مشكلات المجسطي المتوفى سنة ٧١٠ هـ ٠ ومصلح الدين سعدي الشاعر العارف الشهير المتوفى سنة ٦٩١ هـ وشمس الدين حافظ محمد العارف الشاعر المتوفى سنة ٧٩١هـ أو ٧٩٤ وغيرهم ممن تفتخر بهم (فارس) ٠

في هذه المدينة الجميلة ولد صدر الدين واصبح قبساً منيراً في سماء العلم بعد حين وفيها نمت عواطفه واتقدت فطنته والتهب ذكاؤه كذلك التربة الخصبة تنبت الزنبقة ٠

(أسرته) : هو صدر الدين محمد بن ابراهيم القوامي الشيرازي الشهير بالاخوند (الاستاذ) المولى صدرا ٠

---

(١) نيروز هو عيد الفرس الكبير ، يوم اول الربيع والسنة ٠

أسرة قوام في شيراز اسرة عريقة في النسب والشرف . والقوام لقب عام لرئيس هذه الاسرة في كل عصر ولا تزال الرياسة قائمة فيهم الى هذا الزمن .

ورأس هذه الاسرة هو القوام الذي كان معاصراً لحافظ شمس الدين الشاعر السابق الذكر واثنى عليه في بعض قصائده بقوله :

دريای اخضر وفلك وكشتى وهلال هستند غرق نعمت وحاجی قوام ما

معنى البيت ان نعمة قوام عمت البر والبحر بل الفُلك والفَلك والهلال شملتها نعمته . وهو مبالغة شعرية في مدحه .

وشك بعض كبار علماء شيراز في نسبة صدرالدين الى هذه الأُسرة وقال على ماروا الثقات عنه ان قوام الذي ينسب اليه صدرالدين غير قوام المعاصر لحافظ شمس الدين ولكن اشتهرت نسبته الى هذه الأُسرة الشريفة .

(ولادته) : ولد هذا الحبر الجليل بعد النصف من القرن العاشر الهجري على الأرجح من أب شيرازي اسمه ابراهيم وكان وزيراً في فارس (شيراز) . ولم تعرف سنة ولادته في الكتب التي ورد ذكره فيها الا ان الارجح انه ولد بعد النصف من القرن العاشر الهجري لان أعماله الخطيرة العلمية ووضع تآليفه الكبيرة التي تربو على اربعة واربعين او خمسة واربعين تأليفاً وتصنيفاً ومدة اشتغاله بدرس الفلسفة والحديث والفقه والتصوف واعتزاله في جبال (قم) عدة سنين تاركاً التأليف والتصنيف كما سيشير اليه في كلامه الآتي ذكره — كل ذلك يحتاج الى زمن اكثر من خمسين سنة اي الخمسين سنة بعد القرن العاشر التي وقع فيها موته اذا قلنا انه ولد في فجر القرن الحادي عشر .

ولما لم يولد لابيه الوزير ولد في مدة طويلة طلب الى الله طلباً حثيثاً ان يرزقه صبياً فرزقه (صدراً) بعد ان دعا أدعية طويلة ، وفي ايام عديدة وبعد ان تصدق على المحتاجين والمقترين ، ولا سيما بعد ان تصدق بثلاثة توامين (١) فوزعها على أُناس فقراء مارين لم يكن له غيرها ومنذ طفولته لقب الولد (صدراً) لفضله الكبير واختار له مهذباً حاذقاً وما عتم ان ظهرت عليه أمارات الذكاء .

(١) (المجمع) التوامين جمع تومان وهو نقد ايراني ذهبي وقيمته ٨ فرنكات و ٨١ سانتيماً .

وكان والده ذات يوم وكله على البيت وعلى رعاية مافيه ثم أراد الوقوف على ماأنفقه في المدة المذكورة فرأى ان بين النفقات اليومية ثلاثة توامين في باب الحسنات فتعجب والده الوزير من هذا الامر وقال لابنه ما هذا ؟ قال ابنه يا ابي هذا ثمن ما يكلفك اياه ولدك . وفي صنعه هذا دلالة على جوده وان فطرته كانت تهتز للمعروف .

(وروده الى أصبهان) : ولما ذهب من شيراز الى اصبهان نعرف في حمام من حمامات المدينة الى السيد ابي القاسم الفندرسكي[1] وكان السيد في عهده من اكابر العلماء في علوم ما وراء الطبيعة . ولم يكن السيد يعرفه لكن لما سلم عليه . قال له السيد لا شك في انك غريب عن البلدة ياولدي قال الصدر نعم . قال له ومن اي بيت انت ومن اي مدينة ولاي سبب قدمت الى اصبهان . فقال اني من (فارس) وقدمت الى هنا لأتمم دروسي قال السيد على اي العلماء تريد ان تقرأ ؟ قال على من تختاره لي . قال السيد اذا أردت ان توسع عقلك فعليك بالشيخ بهاء الدين اما اذا أردت ان ينفتق لسانك فعليك بامير محمد باقر . فقال اني لا أعني بلساني فذهب الى الشيخ بهاء الدين فأخذ يتلقى العلم عنه من فلسفة وكلام وكان طموحاً الى ان يعرف افكار اليونانيين وما دونوه في كتبهم ولذلك كان يصرف كل دراهمه في مشترى الكتب الفلسفية فأجاد في كل ما سمعه عن أستاذه حتى ان معلمه قال له ذات يوم تلقيت جل علومي وعرفه بالمير محمد باقر الداماد فقال له اذهب اليه وأتني منه بكتاب وكان ذلك وسيلة لتعرفه اليه .

ولم يدر في خلد الصدر ان وراء الاكمة ما وراءها فواجه الاستاذ المنطقي من غير ان يخامره ريب وفي ذلك الوقت كان مير محمد باقر يعلم فسمع الصدر درسه ، ولما عاد التلميذ الى أستاذه قال له شيخه ما كان يفعل مير محمد باقر ؟ قال كان يدرس . فقال شيخه اني لم أكن محتاجاً الى طلب كتاب من مير محمد باقر انما اتخذت هذه الوسيلة لكي اعرفك بدروسه وتحكم بنفسك على مقدرة علمه فينبغي ان تتلقى علومه فأطاعه الصدر وفي بضع سنوات بلغ الدرجة القصوى من البلاغة وهي الدرجة التي عرف بها .

(آراء الفقهاء في اعتقاد صدر الدين) : وهذا الفيلسوف كأمثاله من الفلاسفة

---

(١) سيأتي ذكر السيد في ضمن تراجم اساتذة صدر الدين .

الاحرار ذوي الافكار النيرة لم يسلم من الانتقاد المر والتحقير واصبح هدفاً لسهام اللوم والتكفير وهناك بعض الاقاويل في شأنه من مقاربي عصره ومعاصريه ٠

قال السيد نعمة التستري [1] لما وردت شيراز لم انكل الا على ولد صدر الدين الشيرازي واسمه (ميرزا ابراهيم) وكان جامعاً للعلوم العقلية والنقلية فاخذت عنه شطراً من الحكمة والكلام وقرأت عليه حاشيته على حاشية شمس الدين الخفري على شرح التجريد وكان اعتقاده في الاصول خيراً من اعتقاد ابيه وكان يتمدح و يقول اعتقادي في اصول الدين كاعتقاد العوام وقد اصاب في هذا التشبيه اه ٠

وقال الشيخ يوسف البحراني[2] ولصدر الدين ابن فاضل اسمه (ميرزا ابراهيم) وكان فاضلاً متكلماً جليلاً نبيلاً عالماً لا كثر العلوم ولاسيما في العقليات والرياضيات قال بعض اصحابنا بعد الثناء عليه هو في الحقيقة مصداق قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت) قد قرأ على جماعة منهم والده ولم يسلك مسالكه وكان على ضد طريقة والده في التصوف والحكمة ٠

وقال صاحب روضات الجنات[3] (وكأنه سلك الطريقة الوسطى) و يوجد في غير واحد من مصنفاته (اي مصنفات صدر الدين) كلمات لا تلائم ظاهر الشريعة كأنها مبنية على اصطلاحاته الخاصة او محمولة على ما لا يوجب الكفر وفساد اعتقاد له بوجه من الوجوه وان اوجب ذلك سوء ظن جماعة من الفقهاء الاعلام به و بكتبه بل افتى طائفة منهم بكفره ٠

فمنهم من ذكر في وصف شرحه على الاصول (اصول الكافي)[4] شروح الكافي

(١) عالم شهير له بعض آثار علمية ولد سنة ١٠٥٠ هـ وتوفي ١١١٢ هـ ٠

(٢) الشيخ يوسف البحراني من كبار محدثي الامامية وفقهائهم ولد سنة ١١٠٧ هـ وتوفي في سنة ١١٨٦ هـ ٠ (٣) هو محمد باقر بن امير زين العابدين من فضلاء المتأخرين ولد في ٢٢ صفر سنة ١٢٢٦ هـ بقصبة خونسار وتوفي في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٣١٣ باصبهان وكتابه روضات الجنات في تراجم العلماء مشهور طبع في ايران في سنة ١٣٠٧ هـ ٠

(٤) كتاب اصول الكافي احد الكتب الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية

كثيرة جليلة قدراً واول من شرحه بالكفر (صدراً) وقال الشيخ يوسف البحراني السابق الذكر في شأن تلميذه (المحسن الفيض) الآتي ذكره :

له من المقالات على مذهب الصوفية والفلاسفة ما يكاد يوجب الكفر والعياذ بالله مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود وقد وقفت به على مقالة قبيحة صريحة في القول بوحدة الوجود قد جرى فيها على عقائد ابن عربي واكثر فيها من النقل عنه وان عبر عنه ببعض العارفين وقد اوردنا جملة من كلامه في تلك المقالة وغيرها في رسالتنا[١] في الرد على مقالته نعوذ بالله من طغيان الافهام وزلل الاقدام وقد تلمذ في الاصول (اي اصول العقائد) للمولى صدر الدين الشيرازي ولذا كانت كتبه الاصولية على قواعد الصوفية والفلاسفة .

بل كان في عصره هدفاً لسهام لوم اكثر عارفيه من اهل الجمود ايضاً على انا نجد قليلاً من معاصريه ومقاربي عصره الذين لم يعشوا عن نور الحق يعظمونه ويجلونه حق تعظيمه وتبجيله . قال السيد علي خان صاحب سلافة العصر في ضمن ترجمة الملا فرج الله التستري المعاصر له ما نصه :

قال مؤلف الكتاب (عفى الله عنه) أعيان العجم وأفاضلهم من اهل هذه المئة كثيرو العدد ومنهم المولى صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالملا صدراً كان اعلم اهل زمانه بالحكمة متفنناً بسائر الفنون له تصانيف كثيرة عظيمة الشأن في الحكمة وغيرها .

وقال صاحب امل الآمل محمد بن ابراهيم الشيرازي فاضل من فضلاء المعاصرين ثم نقل نص عبارة صاحب السلافة الآنفة الذكر . وقال الشيخ يوسف البحراني محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازي الشهير بالمولى صدراً كان حكيماً فيلسوفاً صوفياً بحتاً .

وقال صاحب روضات الجنات[٢] من المتأخرين :

لجامعه الامام المحدث ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفى سنة (٣٢٨) او (٣٢٩) .

(١) اسم هذه الرسالة (النفحات الملكوتية في الرد على الصوفية) .

(٢) (ص ٣٣١ ج ٢) .

صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي الشهير بالمولى صدر كان فائقاً على سائر من تقدمه من الحكماء الباذخين والعلماء الراسخين الى زمن نصير الدين يعني نصير الدين الطوسي الفلكي الفيلسوف المتوفى سنة ٦٠٦ .

ان من درس هذه الكلمات يعلم ان السير على آثار الآباء والتقليد في العقائد الدينية وترك الاهتداء بنور العقل والفلسفة كانت في ذلك العصر اوصافاً تعد فضيلة لصاحبها وفيها حياة له كما ان في الفلسفة موتاً للفيلسوف .

نقل مؤلف كتاب قصص العلماء [1] ان ملا محرابعلي الاصبهاني احد العرفاء الصوفيين المعاصرين لابيه الشيخ سليمان وجد يوماً الملا محمد كاظم المزارجربي عند قبر الحسين (عليه السلام) في كربلا اخذ بعد صلوة الصبح يلعن كبار العرفاء الصوفيين واحداً بعد واحد حتى لعن المولى صدراً مات مرة .

ثم لعن الملا محرابعلي فسئل الملا محرابعلي وهو لا يعرف الملا محرابعلي عن سبب لعنه له قال انه يعتقد بوحدة واجب الوجود فقال له فالمنه فانه حقيق بلعنك بهذه العقيدة ولم يكن يميز بين الاعتقاد بوحدة الوجود ووحدة واجب الوجود .

(وفاته) : اتفق الشيخ يوسف البحراني وصاحبا أمل الآمل [2] وروضات الجنات على انه توفي في ضمن العشر الخامس من المائة الحادية عشرة .

وخالفهم محمد حسن خان (صنيع الدولة) مؤلف كتاب (منتظم ناصري [3]) الذي وضعه في وقائع السنين في الشرق والغرب وسمي الكتاب باسم الشاه ناصر الدين القاجاري قال في صفحة (١٩٦ ج ٢) من كتابه ان صدر الدين توفي في سنة (١٠٥٩ هـ) (١٦٤٩ م) وحدثت وفاته في البصرة حين توجهه الى مكة .

(كاباته وشكواه عن اهل عصره) : يظهر من بعض كتاباته انه سئم من جهلة اهل

---

(١) قصص العلماء كتاب في تراجم العلماء لمؤلفه محمد بن سليمان التنكابني الموجود في عصر ناصر الدين شاه القاجار . (٢) صاحب امل الامل هو محمد بن الحسن الشهير بالحر العاملي ولد سنة ١٠٣٣ ولم تثبت عندي سنة وفاته . (٣) صنيع الدولة من فضلاء عصر ناصر الدين شاه وأدبائه المشهورين وامرائه الأجلة .

عصره يقول في ديباجة كتابه (الشواهد الربوبية) بعد الحمد وأصلي على نبيه وآله المطهرين من ظلمات الخواطر المضلة المحفوظين في سماء قدسهم وعصمتهم عن طعن اوهام الجهلة واستعيذ به من جنود الشياطين ثم قال (اللهم اجعل قبور هذه الاسرار صدور الاحرار) وقال في فاتحة كتابه (الاسفار) بعد بيان عزمه على تصنيفه ٠

ولكن العوائق كانت تمنع عن المراد وعوادي الايام تضرب دون بلوغ الغرض بالاسداد فأقعدتني الايام عن القيام وحجبني الدهر عن الاتصال الى المرام لما رأيت من معاداة الدهر بتربية الجهلة الاراذل وشعشعة نيران الجهالة والضلال ورثاثة الحال وركاكة الرجال وقد ابتلينا بجماعة غاربي الفهم تعشو عيونهم عن أنوار الحكمة وأسرارها وتكل بصائرهم كأبصار الخفافيش عن أضواء المعرفة وآثارها يرون التعمق في الامور الربانية والتدبر في الآيات السبحانية بدعة ومخالفة أوضاع جماهير الخلق من الرعاع ضلالة وخدعة الى ان قال : فأصبح الجهل باهر الرايات فأعدموا العلم وفضله واسترذلوا العرفان واهله وانصرفوا عن الحكمة زاهدين ومنعوها معاندين ينفرون الطباع عن الحكماء ويطرحون العلماء العرفاء الاصفياء وكل من كان في بحر الجهل والحمق اولج ، وعن صفاء المعقول والمنقول اخرج ، كان الى اوج القبول والاقبال اوصل ، وعن ارباب الزمان اعلى وافضل :

كم عالم[1] لم يلج بالقرع باب منى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا

وكيف ورؤساؤهم قوم عزل من سلاح الفضل والسداد ، عارية مناكبهم عن لباس العقل والرشاد ٠

يشير هذا الكلام الى ان صدرالدين لم يكن يستطيع من التصريح بفلسفته كما يأتي النص عليه في كلامه في مبحث علم الباري تعالى حيث يقول في رأيه في علمه تعالى انه لا يرى في التصريح به مصلحة وننبه على ذلك من درس حياة صدر الدين من الافرنج في كتاب (الكنت دو كوبينو) ومعلمة الاسلام الانجليزية ان صدر الدين اخفى مذهبه من باب التقية (الكتمان) خوفاً من اضطهاد المجتهدين له وغشاء قصداً بالفاظ معماة ومقالته بث شكوى من اهل الجمود ومتفقهة عصره الذين دأبهم في كل عصر

(١) وفي نسخة عاقل ٠

ومصر محاربة احرار الافكار بسلاح الدين وان كانوا لا يعرفون من الدين الا قشره وهم أبعد من لبه كبعد السماء والارض .

(اهل الجمود والعوام في نظره) : نظر صدر الدين الى اهل الجمود والعوام بالاحتقار يقول في اول كتابه (الاسفار) بعد وصف فضل الفلسفة وانها طريق معرفة الحق الوحيد وليعلم ان معرفة الله تعالى وعلم المعاد وعلم طريق الآخرة ليس المراد بها الاعتقاد الذي تلقاه العامي او الفقيه وراثة وتلقناً فان المشغوف بالتقليد والجمود على الصورة لم ينفتح له طريق الحقائق كما ينفتح لكرام من الالهيين) .

و يقول اني استغفر الله كثيراً مما ضيعت شطراً من عمري في تتبع آراء المتفلسفة والمجادلين من اهل الكلام :

حتى تبين لي بنور الايمان وتأييدات المنان انفيامهم عقيم وصراطهم غير مستقيم) .

(تأثير معارضة اهل الجمود للفلسفة في نفسه) : لما لم يجد اقبالاً عليه وعلى الفلسفة من اهل عصره كما يريد سئم وخمد خاطره الفياض وترك التدريس والتأليف مدة من الزمن يقول في كتابه الكبير ضربت عن ابناء الزمان صفحاً وطويت عنهم كشحاً فألجأني خمود الفطنة وجمود الطبيعة لمعاداة الزمان وعدم مساعدة الدوران الى ان انزويت في بعض نواحي الديار (لعله يشير الى هجرته الى بعض جبال قم) [1] واستترت بالخمول والانكسار منقطع الآمال منكسر البال متوفراً على فرض أؤديه وتفريط في جنب الله اسعى في تلافيه لا على درس القيه او تأليف اتصرف فيه اذ التصرف في العلوم والصناعات وانارة المباحث والمعضلات ودفع المعضلات وتبيين المقاصد ورفع المشكلات مما يحتاج الى تصفية الفكر وتهذيب الخيال عما يوجب الملال والاختلال واستقامة الاوضاع والاحوال مع فراغ البال .

(١) قم مدينة في ١٢٠ كيلومتراً من جنوب طهران الغربي وكان بدء تمصيرها في ايام حجاج بن يوسف سنة ٨٣ تقدسها الايرانيون فان فيها دفنت اخت الامام علي بن موسى الرضا عليهم السلام وهي الآن تعد من المدارس الدينية الكبرى ويدرس فيها الفقه والاصول والأدب .

ومن اين يحصل للانسان مع هذه المكاره التي يسمع ويرى من اهل الزمان ويشاهد مما يكب عليه الناس في هذا الاوان من قلة الانصاف وكثرة الاعتساف وخفض الاعالي الافاضل ورفع الاداني والارازل وظهور الجاهل الشرير والعاصي النكير على صورة النحرير وهيئة الحبر الخبير الى غير ذلك من القبائح والمفاسد الملازمة الفاشية اللازمة والمتعدية مجال المخاطبة في المقال وتقرير الجواب عن السؤال فضلاً عن حل المعضلات وتبيين المشكلات ثم تمثل برباعي من رباعيات (الفرس) وهو :

از سخن پردُرمكن همچون صدف هر گوشرا
قفل گوهر ساز ياقوت زمرد بو شرا
درجواب هر سؤالي حاجت گفتار نيست
چشم بينا عذري خواهد لب خاموشرا

(١) معناه لا تجعل كثيراً كل اذن غير واعية مشحونة كالاصداف بدرر المعاني .
(٢) واقفل شفتيك الياقوتين
(٣) لا حاجة للمقال في جواب كل سؤال
(٤) فان العين البصيرة تعذر الشفة الساكتة للانسان .

ثم اقتبس كلام امير المؤمنين علي عليه السلام وقال اقتفيت اثر علي عليه السلام مطلق الدنيا مؤثراً الآخرة على الاولى فأمسكت عناني عن الاشتغال بالناس ومخالطتهم وأيست من مرافقتهم ومؤانستهم وسهلت علي معاداة الدوران ومعاندة ابناء الزمان وخلصت عن انكارهم واقرارهم وتساوى عندي اعزازهم واضرارهم فتوجهت توجهاً غريزياً نحو مسبب الاسباب وتضرعت تضرعاً جبلياً الى مسهل الامور الصعاب فلما بقيت على هذه الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال زماناً مديداً وامداً بعيداً واشتعلت نفسي بطول المجاهدات اشتعالاً نورانياً والتهب قلبي التهاباً قوياً ففاضت عليها لكثرة الرياضات أنوار الملكوت وحلت بها حنايا الجبروت ولحقتها الاضواء الأحدية وتداركتها الألطاف الالهية فاطلعت على أسرار لم اكن اطلع عليها الى الآن وانكشفت لي رموز لم تكن منكشفة هذا الانكشاف من البرهان بل كل ماعلمته من قبل بالبرهان عاينته مع زوائد بالشهود والعيان انتهى » .

وانت تعلم ايها القارئ ان هذه الكلمات التي ملؤها الشكوى من الجهل والجاهل وعصر الجهل لاتصدر الا عن نفس رجل بلغ في العلم وتذكية النفس مرتبة رفيعة وحاول ان يستضيء الناس بنبراس علمه و يسلكوا سبيل الهدى الامثل و يتبعوا نور شمس العقل الاجمل ٠

ثم وجد الاقدار تجري على خلاف مايرومه فنفر الجاهل وتكرمه وتذل العالم وتجهمه ورأى من اتبع نور العقل اصبح هدفاً لسهام الجهل ٠ فسئم من الحياة وقطع عنها كل الصلات ونظر الى العالم نظر المتحير وطلب النجاة من الله العزيز القدير وكانت حاله في تركه وطنه وانزوائه في جبال قم واستظلاله تحت ظلال السكون والوحدة للتفكر في ملكوت السموات والارض والتأمل في الاسرار الالهية تشبه حال الامام (الغزالي) في تركه بغداد وتأملاته في القدس والشام فكلاهما جعلا تهذيب النفس بالرياضة والمجاهدة وتحليتها بالفضائل وتخليتها عن الرذائل سبيلها الموصل الى الله الجليل والعارج بها من مرتبة البرهان — الى عالم الشهود والعيان ذاك عاد بعد سنين الى بغداد فسلك سبيل الارشاد وهذا نزل من جبال قم وتفجر عين خاطره الفياض فصنف والف واجاد ٠

(حالة ايران العلمية في العصر الصفوي) يحسن بنا ان نذكر كلمة في حالة ايران العلمية في العصر الصفوي لتتسع بها احاطة القارئ الكريم بنواحي البحث ٠

ان من جال ديار الفرس ونظر الى مدارسها المبنية في عصر الملوك الصفويين يتمثل أمامه سعي هؤلاء الملوك العظاء وامرائهم ورجالهم في نشر العلوم ولاسيما علوم الدين فانه يجد في اصفهان كرسي المملكة الصفوية وسائر ديار ايران معاهد علمية ومدارس فخمة بنيت على الطرز القديم تلألأ قبابها الزرقاء بين أشجار وأزهار و بستان ور يحان ٠ ٠

وحجرات الطلاب مطلة عليها وجدرانها مزينة بالفسيفساء على أجمل طرز تسحر العيون كثيراً ما نقشت فيها آيات قرآنية ونصوص دينية ٠

فصورة قطعة من مدرسة الخان في شيراز التي تراها في ضمن هذه الرسالة تمثل لديك جمال البناء في القرنين العاشر والحادي عشر وهندسته في ايران وكانت عناية هؤلاء الملوك والامراء والذين اتبعوهم باحسان لنشر العلم سبباً لوقف املاك كثيرة من اراضي ومزارع وقرى لصرفها في سبيل العلم ونشره وترقية طلبته ٠

فبقية تلك الاملاك الموقوفة في العصر الصفوي الآن في ايران يبلغ ثمنها ملايين من الجنيهات وكان هؤلاء الملوك ورجالهم بانفسهم يتفقدون حال طلبة العلم ويكرمونهم غاية الاكرام . وفي كتاب المذاهب والفلسفة في آسيا الوسطى ان أم الشاه عباس الصفوي الكبير على جلالتها مع جماعة من الاميرات الشريفات كنّ يأتين المدارس في كل شهر مرة و يسألن عن حال الطلاب و يجمعن ثيابهم ليغسلن اوساخها ويعطينهم ثياباً جديدة لئلا يشتغلون بغير الدرس وهذا الصنع الجميل يدل على كبير اهتمامهم بنشر العلم وترقية شؤون الدين في هذه المعاهد العلمية ، كان الطالب يتلقى دروسه من الصرف والنحو والمنطق والمعاني والبيان وسائر فروع العلوم العربية والأدبية والفقه واصوله والحديث والكلام والعلوم الرياضية بجميع فروعها والأخلاق وقليل من الفلسفة الاغريقية والحكمة الفهلوية على خفاء لان الفلسفة كانت تعد مخالفة لمبادئ الدين .

(تلقيه علومه وفلسفته) : ولما أتم صدر الدين دروسه الاولية في شيراز رحل الى اصبهان حيث كانت مجمع رجال العلم والحكمة ومقتبس نور العرفان في ايران وفيها كبار العلماء والحكماء والاساتذة والمدرسين أمثال بهاء الدين العاملي والمير محمد باقر الداماد والمير الفندرسكي الآتي ذكرهم وكان الطلبة يقصدونها من الأقطار الفارسية القريبة والنائية لتلقي العلوم العالية فيها .

(اساتذته) : لاشك ان نفس مثل صدر الدين الظمأى الى رشف كأس العلم والحكمة لا تقنع باساتذة قليلين فظني قوي انه ادرك كثيراً من شيوخ العلم والحكمة والادب في عصره الا ان اساتذته المشهورين هم الشيخ الامام الجليل بهاء الدين العاملي والفيلسوف الالهي المير محمد الباقر الحسيني الشهير بالداماد[1] وكانا باصبهان والاول هو العالم الطائر الصيت بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد العاملي الحارثي الهمداني ولد في بعلبك عند غروب الشمس يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣

(١) داماد بالفارسية الصهر اشتهر به لان اباه محمد كان صهر الشيخ علي بن عبد العال الكركي الشهير بالمحقق الثاني بين علماء الشيعة وكان مشهوراً بالداماد واشتهر به ابنه ايضاً .

ثلاث وخمسين وتسمائة وصاحب الشاه عباس الصفوي توفي في ١٢ شوال سنة ١٠٣٠ باصبهان ونقل قبل دفنه الى طوس (خراسان) ودفن في جوار قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام وقبره مشهور فيه واشهر كتبه : تشريح الافلاك ٠ رسالة نسبة ارتفاع اعظم الجبال الى قطر الارض ٠ وخلاصة الحساب ٠ رسالة في بيان ان انوار الكواكب مستفادة من الشمس ٠ رسالة في حل اشكال القمر وعطارد وتفسيره المسمى بالعروة الوثقى ٠

فوض اليه منصب شيخ الاسلام من الملك الصفوي وكان هذا المنصب ذا اهمية كبرى في ذلك العصر والثاني هو محمد الباقر بن محمد الحسيني فيلسوف آلهي جليل وفقيه نبيل كان شاعراً يجيد الشعر بالفارسية والعربية وخطيباً مصقعاً خطب خطبة الملك في جامع اصبهان يوم جلس فيه الشاه صفي الصفوي في عرش الملك وصاحب الشاه عباس الكبير ٠ توفي سنة ١٠٤٠ ﻫ على رأي صاحب منتظم ناصري وسنة ١٠٤١ على ما ذكره صاحب امل الآمل ٠ واشهر كتبه : القبسات ، والصراط المستقيم ، والحبل المتين ، وشارع النجاة في الفقه ، وعيون المسائل لم يتم ، كتاب نبراس الضياء ، خلسة الملكوت ٠ الرواشح السماوية وهو في علم الحديث والدراية ٠ ونسخة من هذا الكتاب كانت موجودة عند صاحب روضات الجنات بخط صدر الدين ٠ كتاب السبع الشداد ٠ الضوابط ٠ الايماضات والتشريقات ٠ شرح الاستبصار ٠ سدرة المنتهى في تفسير القرآن ٠

وله رسالة في ان المنتسب بالام الى هاشم — من السادات الكرام على مااختاره العلامة جمال الدين القاسمي الدمشقي وله ايضاً حواش على الكافي وكتاب من لا يحضره الفقيه وهما من اهم كتب الحديث والمير الفندرسكي الذي ارشده اليهما هو ابو القاسم الفندرسكي وفندرسك من نواحي استراباد ايران[1] حكيم آلهي صوفي زاهد شاعر كان بارعاً في العلوم الرياضية والفلسفة وارتاض في الهند مدة مديدة وبعد ان عاد من الهند الى العراق دعا اهل العلم الى مسلكه توفي بين سنة ١٠٣٠ ﻫ وسنة ١٠٤٠ ﻫ

(تلامذته المشهورون) : ومن اشهر تلامذته محمد بن مرتضى المدعو بمحسن الفيض وهو ختن صدر الدين ٠ كان عالماً محدثاً صلباً كثير الطعن على المجتهدين وقد سبق كلام

---

(١) استراباد بلدة صغيرة في نواحي قبائل ترك خراسان ٠

صاحب (لؤلؤة البحرين) الشيخ يوسف البحراني في مسلكه التصوفي تلمذ في الحديث على السيد ماجد البحراني في مدينة (شيراز) وفي اصول العقائد على الفيلسوف صدر الدين محمد بن ابراهيم . وله آثار علمية أفرد لها فهرستاً منها : كتاب الصافي في تفسير القرآن الكريم (طبع في ايران) .

واكثر كتبه أخلاقية على سبيل العرفان في السير والسلوك وهي تشبه كتب الغزالي ومنها : كتاب المحجة البيضاء في احياء الاحياء وكتاب محجة الحقائق في أسرار الدين وكتاب تشريح العالم في بيان العالم وأجسامه وأرواحه وكيفيته وحركات الافلاك والعناصر وأنواع البسائط والمركبات وكتاب حدوث العالم .

راه صواب (اي طريق الصواب) بالفارسية في سبب اختلاف اهل الاسلام في المذاهب . وكتاب ابطال الجواهر الافراد . فهرست العلوم شرح فيه أنواع العلوم وأصنافها . قال السيد الجزائري [1] تصانيف استاذي الفيض تربو على مائتي كتاب ورسالة ومنهم المولى عبد الرزاق بن علي بن حسين اللاهيجي الجيلاني ثم القمي كان حكيماً متشرعاً ومتكلماً محققاً ومنشئاً بليغاً ومنطقياً وشاعراً جليلاً له مصنفات كثيرة في الحكمة والكلام منها كتابه المشهور بگوهر مراد .

كتاب شرح تجريد نصير الدين الطوسي الفيلسوف وهذا الكتاب في الامور العامة . كتاب الشوارق في الحكمة : شرح الهياكل في حكمة الاشراق الكلمات الطيبة في المحاكمة بين المير الداماد وتلميذه صدر الدين في اصالة الماهية والوجود . رسالة حدوث العالم . حاشيته على حاشية الخفري على الهيآت . شرح التجريد . حاشيته على شرح الاشارات . لنصير الدين الطوسي الفلكي .

وكان قد درس على صدر الدين وكان مدرساً بمدرسة قم الى ان توفي بها بعد النصف من القرن الحادي عشر .

وردت كلمة موجزة في (معلمة الاسلام الانجليزية) عن صدر الدين بقلم العالم المستشرق (كليمان هوار) . وعدّ من تلاميذه القاضي سعيد القمي ولكن ترجمته تفيد انه تلمذ على

(١) هو السيد نعمة الله الذي سبق ذكره .

كتاب نزهة العيون

في اربعة فنون

في المكتبة المورانية الشهيرة بحلب — كتاب مخطوط بقلم نسخي قديم بعد نحو خمسمائة صفحة افتتحه مؤلفه بقوله بعد البسملة « الحمد لله الذي بقدرته رفع منصوب الطباق السبع، و بث فيها زينة لها نجوماً هداية للساري ورجوماً لمسترقي السمع ، وانشأ في جوها سحاباً تلقحه الرياح فيدر خلفه بالهمع » الى آخر خطبته الطويلة التي لم يذكر فيها مؤلفه اسمه ولا اسم كتابه والكتاب مخروم الآخر الذي ربما كان في خاتمته اشارة الى مؤلفه او الى تاريخ الفراغ من تأليفه او الى اسم ناسخه ، وقد سألت احد اساتذة التاريخ عن اسم هذا الكتاب وعن مؤلفه فقال اسمه (نزهة العيون في اربعة فنون) وان مؤلفه ابن الوطواط المتوفى سنة ٧١٩ هـ — ١٣١٦ م : ثم تصفحت الكتاب فرأيت في قفا اول صفحة منه بخط غير خطه — هذه العبارة « كتاب نزهة العيون في اربعة فنون » تأليف الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن يحيي الدين الكتبي .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بحثت عن هذا الكتاب في كشف الظنون وفهارس مكتبتي بايزيد ولالا ومكتبة شيخ الاسلام في استانبول وفهارس المكتبة الخديوية في مصر وفهارس مكتبة بلدية اسكندرية — فلم ار له فيها ذكراً ، والذي يظهر لي ان هذا الكتاب مما ألف قبل القرن الثامن للهجرة لانه لم يرد فيه حين تقسيمه الارض الى أقاليم — ذكر لقارة اميركا التي كان اكتشافها سنة ٨٦٢ هـ — ١٤٥٧ م .

بعد ان فرغ مؤلفه من خطبة كتابه أورد فهرسه فقال :

الفن الاول في السماء وزينتها :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق السماء وهيأتها

« الثاني « « الكواكب السيارة

« الثالث « « « الثابتة وما رصده القدماء منها

« الرابع « « منازل القمر وما قيل فيها

الباب الخامس في ذكر الآثار العلوية
« السادس « « الليالي والايام
« السابع « « الشهور والاعوام
« الثامن « « فصول السنة
« التاسع « « الامم واعيادها

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها وفيه تسعة ابواب :

الباب الاول في ذكر مبدإ خلق الارض وهيأتها
« الثاني « « الجبال والمعادن
« الثالث « « البحار والمعادن
« الرابع « « العيون والانهار
« الخامس « « اصباب من سكن الارض
« السادس « « البلاد ونواحيها وما ملك المسلمون منها وذلك بما وراء نهر جيحون
« السابع « « طبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد
« الثامن « « المباني التي بقي أثرها ووعظ خبرها أولها برج بابل
« التاسع « « ماوصفت به المعاقل والحصون والمنازل . اولها قلعة في الاندلس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفن الثالث في الحيوان وطباعه :

الباب الاول في ذكر خصائص نوع الانسان
« الثاني « طبائع ذي الناب والظفر
« الثالث « « الحيوان الوحشي
« الرابع « « « الاهلي
« الخامس « « الحشرات والهوام
« السادس « « سباع الطير وكلابها
« السابع « بغاث الطير
« الثامن « طبائع الطائر الليلي
« التاسع « الحيوان البحري المشتركة

الفن الرابع في النبات وفلاحته :

الباب الاول في كيفية كون النبات وتلونه

« الثاني في ذكر ما يوافق النبات وتركيبه من الأرضين والسرجين

« الثالث في فلاحة الحبوب والقطاني

« الرابع في فلاحة البقول

« الخامس في ذكر النبات الذي لثمره وقشر

« السادس في ذكر النبات ذي النوى

« السابع في ذكر فلاحة النبات الذي لا قشر له

« الثامن في ذكر أصناف الرياحين

« التاسع في ذكر الاشجار ذوات الصموغ والامنان واليتوعات

ثم قسم المؤلف كل باب من هذه الابواب المندرجة تحت فنها — الى عدة فصول خص كل نوع من الاصناف المندرجة ضمن الباب — بفصل على حدته نكلم فيه على ذلك النوع بما يقتضيه الفن ثم اتى بشيء من طرائف المنظوم توصف به النوع وصفاً ادبيًا يحتاجه الاديب وقلما يجده في غير هذا الكتاب وقد اكثر المؤلف في الفن الرابع النقل عن ابي بكر بن وحشية كقوله في فصل من فصول الباب الاول من هذا الفن — قال ابن وحشية : واصل كون الألوان في النبات هو اسخان الشمس ثم طلوع القمر عليه فتتغير الالوان وتتبدل فيه فان ثمرة النخل تبدو اولاً بيضاء جفرية ثم تصير بلحًا ثم تكبر فتنتقل من الخضرة الى الحمرة او الى الصفرة وهذا التبدل والتلون انما هو بطبخ الشمس له وكل نوع من النبات فحكمه في الألوان والتنقل فيها هذا الحكم فان الشمس تطبخه والقمر يصبغه والماء يربيه والارض تمسكه وتغذوه مع الماء فيتم كونه ثم قال بعد كلام طويل اعلم ان جوهر النبات كله كبيره وصغيره انما يكون من جوهر العناصر وهذه العناصر اصل ومادة وموضوع لكل جسم مركب كائن على الارض من حد سفل أسفل فلك القمر الى آخر جسم الارض . وقال في موضوع آخر في قوى النبات ومضارعته الحيوان : قال أرسطو الحياة موجودة في النبات كما هي موجودة في الحيوان غير ان حيوة الحيوان بينة ظاهرة وحياة النبات خفية غامضة وله حس وحركة . وقال في موضع آخر زعم

آخرون ان للنبات نوماً ويقظة وان النوم سكون والسكون راحة المتحرك وليس للنبات إرادة إذ لوكانت لكان يمكنه ان يهرب من ضار · وزعم آخرون ان له حساً وارادة لما يرى فيه من الميل مع الشمس حيث مالت كالشقائق والخبازي والحور والترمس وما يفتح لطلوعها وينضم لمغيبها كالنيلوفر والاذرون · وزعم آخرون ان له مع الحس عقلاً وفهماً ·

الى غير ذلك من القضايا الفلسفية المتعلقة بالنبات وأحواله وطبائعه وتطوراته مما يزعم اكتشافه وظهوره على يده كثير من علماء النبات في هذا القرن ·

على ان مؤلف هذا الكتاب كما عني بذكر الوافر الجم من المسائل الجوهرية الحقيقية المتعلقة بالنبات وغيره فانه لم يقتصر بايراد قضايا جديرة ان تنخرط في سلك الخرافيات التي تستبعد العقول وقوعها من ذلك قوله مؤيداً زعم من قال بوجود الحس لبعض النباتات ومما يخيل للذهن صدق ما زعموه ما حكى لي القاضي فخرالدين ابراهيم بن علي دبوقا قال مررت بقرية من قرى بعلبك تسمى الرمانة فرأيت في بقعة من ارضها نباتاً يشبه المنثور في لونه وكونه فوقفت متعجباً من حسنه فقال لي بعض الظرفاء وأزيدك منه عجباً قلت وما هو قال يغني بيتي شعر معروفين فلا يزال يهتز حتى تسقط أوراقه وتذبل واريك ذلك ثم اندفع يغني ويوقع بكفيه :

يا ساكنا بالبلد البلقع ويا ديار الظاعنين اسمعي
ما هذه داري ولكنها ديار احبابي فنوحي معي

قال فخر الدين فوالله لقد رأيت ذلك النبات يهتز كأنما أصابته ريح عاصفة حتى تناثرت اوراقه وذبلت طاقاته

قلت لا اسيء الظن بفخر الدين ولا اتهمه بالكذب والحنث بيمينه بل اقول انه غلب عليه الوهم فرأى بعينه النبات يهتز فأخبر بذلك ولم يحنث ·

هذا وان صاحب الكتاب الذي نحن بصدده ذكر في كتابه في الكلام على الارض اموراً ينطبق بعضها تمام الانطباق على ماقاله فيها علماء الهيئة في القرن العشرين والذي قبله وكنا نظنها انها من مكتشفاتهم ومبتكراتهم التي لم يسبقهم اليها احد قبلهم ، واليك نبذة مما قاله في هذا الموضوع وهي :

من جملة الزعوم ان الارض تهوي الى ما لانهاية له وان السماء ترتفع الى ما لا نهاية له ، ومنهم من زعم ان الارض صاعدة وان السماء هابطة ومنهم من قال ان الارض والسماء صاعدتان والقائلون بهذا منهم من زعم ان السماء صاعدة مع دورانها والارض صاعدة غير دائرة ومنهم من زعم عكس ذلك ومنهم من زعم انها متحركة على استقامة الى الشرق وقال بعضهم انها متحركة دورية وان الذي يرى من دور الفلك انما هو من دورها وان الفلك ساكن على الدوام والقائلون بهذا ذهب فريق منهم الى ان حركتها مستديرة ·

وكل من مال الى فن من هذه الفنون فانما يخبط فكره في عشواء الظنون و يتكلف لكل منها ادلة و براهين تنقض عليها من سوانح المنازعات صقور وشواهين ·

والقول الحق الذي تقوم عليه البراهين الساطعة والحجج القاطعة عند حذاق المتكلمين في الهيئة انها كرية بالكلية مضرسة بالجزئية من جهة الجبال البارزة والوهدات الغائرة ولا يخرجها ذلك عن الكرية لان مقادير الجبال وان شمخت صغيرة بالقياس الى كل الارض « كرة قطرها ذراع او ذراعان اذا نبأ فيها كالجاورس وغار فيها كامثاله لم يمنع ذلك من اجراء حكم التدوير عليها بالتقريب » وليس للارض نسبة من الفلك البتة لان أصغر كوكب في السماء قدرها ثمان عشرة مرة وهي في وسط الفلك والوسط هو السفل ومثلوا - كونها في الوسط كالنقطة في الدائرة والمح في البيضة ومعنى تمثيلهم لها بالمح الذي هو الصفار ان البيضة يقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها والمح في مكانه لا ينتقل عنه وفي هذا تنبيه على ان الفلك هو المتحرك دون الارض وزعموا انها الحجاب الذي توارت به الشمس في قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » ومن براهينهم على انها كرية ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يوجد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد لا يرى طلوعها على النواحي الشرقية قبل طلوعها على النواحي الغربية وغيبوبتها من النواحي الشرقية قبل غيبوبتها عن الغربية ، ولو ان انساناً سار من ناحية الجنوب الى ناحية الشمال رأى انه يظهر له من الناحية الشمالية بعض الكواكب التي كان لها غروب فيصير ابدي الظهور ، و بحسب ذلك يكون عنده من ناحية الجنوب بعض الكواكب التي كان لها الطلوع فيصير أبدي الخفاء على ترتيب واحد اذ كان لا يعترض بينه وبين البصر شيء يحجب شعاعه عنه والامر بخلاف ذلك كما تقدم ، قال والماء محيط بها

ولولا التضرس لغمرها حتى لم يظهر منها شيء لكن العناية الالهية اقتضت اللطف بالعالم الانسي فأبرزت له جزءاً من الماء ليكون مركزاً له وإحاطة الماء بهـا بالامر الطبيعي اذ كل خفيف يعلو على الثقيل والماء أخف من الارض فكان محيطاً بهـا قالوا والهواء جاذب لها الى الملك بالسوية كجذب المغنطيس للحديد ولذلك وقفت في الوسط : وذهب آخرون الى ان وقوفها في الوسط انما هو من دفع الفلك لها من سائر جهاتها ومثلوا وقوفها في الوسط بجمجمة لو وضعت في قنينة ثم أديرت في الجهة ادارة سريعة ووقفت في وسطها لتساوي الدفع من كل الجوانب : وحكي عن آخرين ان النصف الأسفل من الارض فيه اعتمادات صاعدة ، النصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع من الاعتمادات فلزم الوقوف .

كل خبط في عشواء الجهل بحكمة الله في مخلوقاته ، كيف والله تعالى يقول : « ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده » وذلك الامساك هو ان رسم لكل واحد منها حداً لا يتعداه : ثم انهم مثلوا حلول الساكن في الارض بتفاحة غرس فيها شعير مما يدور بها فكل شعيرة منتصبة الى ما قابلها من جميع جهاتها لا فرق بين شيء منها في استقامة الحل وحيث كان الناس من استيطانهم فان ارجلهم الى الارض ورؤوسهم الى السماء وكل فريق منهم يرى ان ارضه التي هو عليها هي المستقيمة في الاعتدال ، وقال آخرون في تحقيق هذه الدعوى — لو ان اهل ناحية من نواحي الارض حفروا بئراً وأطالوها الى المركز وحفر اهل الناحية التي تقابلها بئراً أخرى وأطالوها الى ان تلتقي الحفرتان ويكون الماء واحداً لأرسل اهل كل ناحية دلوهم فكان أسفل هذا الدلو مقابلاً لأسفل الدلو الآخر وكان هؤلاء يجرونه الى فوق والآخرون كذلك لا يشك واحد منهم انه جاذب دلوه من اسفلها الى اعلاها واستدل ايضاً على ذلك ان الانسان اذا كان في موضع من الارض وأخرج خطاً مستقيماً من مكانه الى مركز الارض وانتهى به الى الجهة الاخرى من رجليه الى رجليه حتى انهم قالوا متى قيس بين اهل الصين وبين اهل الاندلس الذين على طرفي المعمور كانت أقدامهم متقابلة .

الى آخر ما حكاه صاحب الكتاب في كروية الارض وحركاتها من الزعوم والآراء

التي كنا نحسب الكثير منها مما تركه الاول للآخر فكنا نقول كم ترك الاول للآخر فصرنا بعد اطلاعنا على هذا الكتاب نقول ما ترك الاول للآخر ·

كامل الغزي

عضو المجمع العلمي

صلاح الدين الصفدي

لما قرأت ما كتبه السيد داود الحلبي في الجزء التاسع من مجلة المجمع ص ١٠٥ الى ١٠٨ عن كتاب لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ذكرت اني رأيت في مكتبة وزارة الهند (India Office) بلندن منذ زمان نسختين من التذكرة الصلاحية (كذا ورد في عنوان كل جزء من النسختين) لا ذكر لهما في الفهرسة المطبوعة لانهما دخلا المكتبة المذكورة بعد نشر الفهرسة بزمان طويل · وقد أخذت جدولاً مما في النسختين فالنسخة تحت رقم « عربي ٣٨٢٩ » وفيها الجزء الاول الى الثالث ، والثانية رقم « عربي ٣٧٩٩ » تشتمل على الجزء الـ ٤٨ و ٤٩ ولا أدري هل هذا منتهى التصنيف فانه يظهر ان الصفدي نقل طول حياته من كتب مختلفة وقعت بين يديه . فالتقط ما أعجبه على غير ترتيب واكثره مقطعات نثرية وشعرية غير طويلة الا نادراً ولا اشك ان هذا المجموع لا نهاية له الا بوفاة مؤلفه · اني آسف لعدم نقلي مقدمة الجزء الاول وحيث المكتبة المذكورة مغلقة في شهر ايلول كله أرجو رجوعي الى هذا بعد فتحها ولئلا تطول مقالتي أذكر بعض المهمات الموجودة في هاتين النسختين في الجزء الاول :

ص ٣ رسالة القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتشوق الى علاء الدين ابن القلانسي وشمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود هو ابن الشاعر المشهور والصدر شهاب الدين يحيى بن المبسراني ·

ص ٧ التقليد السليماني للقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (وهي رسالة هزلية) ·

ص ٤٩ الى ٥٩ شعر صدر الدين ابي عبد الله محمد بن زين الدين ابي الحرم مكي العثماني عرف بالقاهرة بابن المرحل وفي الشام بابن الوكيل هو الشاعر المشهور ·

ص ٦٠ شعر لشرف الدين الحلاوي ولكن محي عمداً في النسخة حتى تصعب القراءة ·

ص ٦٧ الى ٦٨ شعر طويل لابن دانيال قد محي ايضاً ولا أدري سببه ·

ص ٧٠ الى ٧٩ من ديوان الامير ناصر الدين حسن بن شاور (كذا) بن طرخان الفرامي ابن النقيب ·

ص ٨١ من كتاب تحفة القادم لابن الأبار ·

ص ٨٦ آخر الجزء الاول ·

ص ٨٩ الى ١٠٧ شعر جمال الدين ابي الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار ·

ص ١٠٧ شعر السراج عمر المختار الحلبي ·

ص ١١١ شعر بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي المتوفى يوم السبت ٢٢ شعبان سنة ٦٨٠ ودفن بباب الصغير في دمشق ·

ص ١١٣ الى ١٢٣ المختار من كتاب فلتة البراعة وافتة البراعة لمحيي الدين عبد الله ابن عبد الظاهر ·

ص ١٢٤ الى ١٤٤ القطر النباتي لجمال الدين محمد بن نباتة في آخره إجازة مؤرخة في القاهرة سنة ٧٦٩ ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ص ١٦٣ آخر هذا الجزء الثاني ·

ص ١٦٩ من كتاب تاج المجامع والمعاجم وسراج الأعارب والأعاجم المشتمل على مشيخة ابي الحامد اسماعيل بن ابي الشكر حامد بن ابي القاسم عبد الرحمن الخزرجي القوصي نزيل دمشق ·

ص ١٧٣ كتاب محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر الى الامير شمس الدين آقسنقر جواباً عن كتابه بفتح بلاد النوبة ·

ص ١٨٩ الى ١٩٣ ظلامة ابي تمام الطائي صنعة الخالدي ·

ص ١٩٣ مناظرة بين النظّام وابن الحكم تليه مناظرة بين النظام ومخالفيه ·

ص ٢٠٤ رسالة الحاتمي اولها : كان ابو الطيب (يعني المتنبي) لما دخل بغداذ الخ ·

ص ٢١٢ شعر ابي القاسم المظفر علي الطبسي يرثي المتنبي ·

ص ٢١٣ الى ٢١٨ سرقات المتنبي من ابي تمام ·

ص٢١٩ الى ٢٢٠ الخواص الفعلية والعظات العلية لنور الدين ابي بكر محمد بن رستم ·
ص ٢٢١ الى ٢٢٩ مفاخرة بين السيف والقلم لجمال الدين ابي بكر محمد بن شمس الدين محمد بن نباتة ·
ص ٢٣٦ آخر الجزء الثالث والنسخة (رقم عربي ٣٧٩٩) :
ص ٢٠ الى ٢٦ نقلتُ من ديوان امين الدين جوبان القوّاس سماه نقع الوقائع ورقع الوسائع ·
ص ٤٠ الى ٤٤ شعر شمس الدين محمد بن علي بن ابراهيم المصري المعروف بابن الواسطي أنشدني لنفسه ·
ص ٦٤ مكاتبة الشيخ أويس بديوان الانشاء ·
ص ٦٨ آخر الجزء الثامن والأربعين ·
ص ٦٩ من كتاب درّة التنزيل وغرّة التأويل لابن خطيب القلعة ·
ص ٧١ قول ابو علي ابن فورّجة في كتاب التجني على ابن جني [انقلها بكمالها في آخر هذه النبذة] ·

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

منقول من الجزء الثامن والأربعين ص ٧١ :

ذكر ابو علي بن فورّجة في كتاب التجني على ابن جني : قال : حدثني الشيخ ابو العلاء المعري عن رجل من اهل الشام كان يتوكل لابي الطيب يعرف بابي سعد وبقي الى عهدنا وبعد : ان حدثني ابو علاء عنه · قال : دعاني ابو الطيب ذات يوم ونحن بحلب أظنه قال ولم أكن عرفت منه الميل الى اللهو مع النساء ولا الغلمان فقال لي : أرأيت (ص٧٢) الغلام ذا الاصداغ الجالس الى حانوت كذا من السوق وكان غلاماً وسيماً ختّاناً فهاهو سبيله · فقلت : نعم واعرفه · فقال : فامض فأتني به واتخذ دعوة وانفق واكثر · فقلت : كم قدر ما أنفق · فلم يزدني على قوله : أنفق واكثر · وكنت استطلع رأيه في جميع ما انفقه فمضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الطعام وصحفات من الحلوى واستدعيت الغلام فأجاب وانا متعجب من جميع ما أسمع منه وأراه اذ لم تجر له عادة بمثله · فعاد من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام وفرغ من اتخاذ الطعام فقال : قدّم مايؤكل وآكل ضيفك · فقدّمت الطعام وأكلا وانا ثالثهما ثم

أجمى(؟) الليل فقدّمت الشمعة ورمّ فع دفاتره وكانت تلك عادته كل ليلة . فقال : احضر لضيفك شراباً واقعد الى جانبه فنادمه . ففعلتُ ما أمرني كل ذلك وعينه الى الدفاتر يدرس ولا يلتفت الينا الا في الحين بعد الحين فما شربنا الا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك وافرش لنفسك وبتْ ثالثهما ولم أكن قبل ذلك أبايته في بيته . ففعلت وهو يدرس حتى مضى من الليل اكثره ثم آوى الى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : مايصنع الضيف ؟ . فقال : أخبِئْه واصرفه . فقلت : وكم أعطيه . فأطرق ساعة ثم قال : أنطه ثلاثمائة درهم . فعجبت من ذلك ثم جسرت نفسي فدنوتُ منه فقلت : انه من عجيب بالشيء اليسير وانت فلم تنل منه حظاً . فقال : أنظنني من هؤلاء الفسقة أنطه ثلاثمائة درهم ولينصرف راشداً . قال : ففعلت ما أمرني به وصرفته .. قال ابن فورجة : وهذا من بديع اخباره ولولا قوة إسناده ما صدقت به .

وفي ص ٩٠ من الجزء المذكور :

نقلت من روزنامج الصاحب ابي القاسم اسماعيل ابن عباد رحمه الله : وانتهيت الى ابي سعيد السيرافي وهو شيخ البلد فرد الادب وحسن التصرف في اللغة والنحو وافر الحظ من علوم الاوائل فسلمت عليه وقعدت عليه وبعضهم يقرأ الجمهرة فقرأ : أأمقتُ الشيءُ افسدته[1] فقلت : انما هو لمقته . فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع اليّ فوجد حكايتي صحيحة واستمر القاري حتى انشد وقد استشهد :

رسم دار وقفتُ في طلله كدت اقضي الغداة من جلله

فقلت : ايها الشيخ هذا لايجوز والمصراعان على مثل النشيد يخرجان من بحرين لان : رسم دار وقفت في طلله « فاعلاتن مفاعلن فعلن » وكدت اقضي الغداة من جلله . « مفتعلن فاعلات مفتعلن » فذاك من الخفيف وهذا من المنسرح والمصراع الاول مخزوم . فقلت : لا يدخل الخزم على هذا البحر لان اوله مستفعلن ومفاعل هذه مزاحفة عنها فاذا حذفنا متحركاً بقينا ساكناً وليس في كلام العرب ابتداء به وانما : كدت اقضي الغداة بتخفيف .

---

(١) هذا الحرف ليس في الجمهرة في رواية السيرافي وما فيها لحق الكتاب اي محاه ولقه بيده ضربه .. انظر ج ٣ ص ١٦٣ طبعة حيدر اباد .

فصح وشوارد

شطأ الزرع والنخل (ـَـ) شطأ وشطوءاً ، اخرج الشطء وهو فراخ الزرع والنخل وقيل ورقه — ومن الشجر ما خرج حول اصوله ، وكذلك أشطأ .

وفرّخ الزرع ، نبتت أفراخه والفرخ هو الزرع المتهيئ للانشقاق وقد فرّخ الشجر اذا أخرج فراخاً كثيرة وهي مايخرج في اصوله من صغاره وقيل فرخ الشجرة الغصن منها . وقال قوم فرخها ما في وسطها من الاغصان .

وشعّب الزرع وتشعّب ، صار ذا شعب اي فرق . وقصّب ، صارله قصب . وتقول للزرع اول مايطلع نجم ثم فرّخ وقصّب ثم أعصف ثم سبّل ثم سنبل ثم أحبّ وألبّ ثم أسفى ثم أفرك ثم أحصد .

وأشعّ الزرع ، أخرج شعاعه وهو من السنبل سفاه اذا يبس ما دام على السنبل .

وأصرّ السنبل ، صار صرراً وهو السنبل بعد ما يقصّب اوما لم يخرج فيه القمح الواحدة صررة .

وسنبل الزرع ، خرج سنبله . وأسبل ، اخرج سبولته وهو بمعنى السنبل .

وأقمح البرّ ، صار قمحاً نضيجاً . وقد شُرّب السنبل الدقيق وأُشرب به اذا صار فيه طعم والشرب فيه مستعار كأن الدقيق كان ماء فشربه .

واشوى القمح ، افرك وصلح ان يشوى . وافرك السنبل اذا صار فريكاً وهو حين يصلح ان يفرك فيؤكل .

وشذّب الجذع ، اصلحه بقطع شذبه وهو قطع الشجر يقال طار من النخل شذبه اي ما قطع عنه . وكرب الرجل ، اخذ الكرب من النخل وهو اصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها الواحدة كربة .

وسلأ الجذع ، نزع سُلاّءه اي شوكه . وكرنف النخلة ، جرد جذعها من كرانيفه والكرناف اصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف .

وسوّج على النخل والكرم اذا احاط عليه بالساج وهو شجر يعظم جداً لا ينبت الا ببلاد الهند وخشبه اسود رزين لاتكاد الارض تبليه .

وتموّه العنب ، امتلأ ماءً وتهيأ للنضج . واجرن ، حان له ان يوضع في الجرين .

وابرم الكرم ، صار ذا برم وهو حب العنب اذا كان مثل رؤوس الذر .

وعقّل ، اخرج العُقَّيلى وهو الحصرم ربما سمي بهذا لعقله بطن آكله .

واشجن ، صار ذا شجنة وهي شعبة من عنقود تدرك كلها .

وكحّب ، اظهر كحبه وقيل كثر حبه والكحب الحصرم . وانمى ، صار فيه نوامٍ اي قضبان عليها عناقيد .

وعنّب ، صار ذا عنب . واقعل ، انشق قعاله وتناثر ولم يثمر وهو نور العنب وشبهه وما تناثر منه . واعصى ، اخرج عيدانه ولم يثمر . وقد دمعت الجفنة اذا كثر دمعها وسال فهي جفنة دامعة .

ورعّل الكرم ترعيلاً ، اخرجت رُعلته وهو الطرف الغض من الكرم .

واحطب ، حان ان يقطع منه الحطب . واستحطب العنب ، احتاج ان تقطع اعاليه .

واعترش الكرم ، علا على العراش وعرش الكرم ما يدعم به من الخشب . وعوّم ، كبر حمله عاماً وقل آخر .

وقالوا تبقّل الرجل ، خرج لطلب البقل . واعشب القوم اصابوا عشباً تقول اعشبت ياهذا فانزل وكذلك اعشوشبوا .

وامرع فلان المكان ، اصاب مريعاً ومنه المثل امرعت فانزل اي اصبت حاجتك فانزل . ونجّم ، تتبع نجمة النبت واحتفر عنها . واحشّ الكلأُ ، امكن لان يُحشّ .

وقمِل العرفج ، بدا به غب المطر ما يشبه القمل . وصُرّ النبات ، اصابه الصِرّ اي الريح الباردة . وسُمّ ، احرقته السموم فهو مسموم .

واستروح الغصن ، اهتز بالريح . وغصن مريح ومروح ، اصابته الريح وشجرة مروحة ومريحة ، صفقتها الريح فألقت ورقها .

واخلفت الشجرة ، انبتت عوض ما قطع منها . ومَشِرت ومَشَّرت وامشرت ، خرجت فيها المشرة وهي شبه خوصة تخرج في العضاه وفي كثير من الشجر ايام الخريف لها ورق واغصان رخصة وقيل الاغصان الخضر الرطبة قبل ان تتلون بلون وتشتد — وهي ايضاً الورقة قبل ان تتشعب وتنتشر — وما يمتشره الراعي من ورق الشجر بمحجنه .

وامصع العوسج ، ظهر مصعه وهو حمل العوسج وثمره وهو احمر يؤكل .

واستغلظ الشجر ، استحكمت نبتته وصار غليظاً . وشجّر النبات ، صار شجراً .

وأشطأ الشجر ، أخرج الأشطاء وهي ما خرج حول اصوله .

وصنبرت النخلة ، صارت صنبوراً وهي النخلة دقت من أسفلها وانجرد كربها وقلّ حملها — والمنفردة من النخيل — والنخلة تخرج من اصل النخلة الاخرى من غير ان تُغرس .

وأعبل الشجر ، كان ذا عبل ويقال أعبل الأرطى اذا غلظ هدبه في القيظ واحمرّ وصلح ان يدبغ به والعَبَل كل ورق مفتول غير منبسط كورق الطرفاء – وثمر الارطى وهدبه اذا غلظ وصلح ان يدبغ به وقيل الورق الدقيق وقيل الطالع والساقط منه (ضد) .

وقصّد العرفج وأقصدَ ، أخرج القصد وهو أغصانه الناعمة وقيل القصَدة من كل شجرة شائكة ان يظهر نباتها اول ما تنبت .

وأفتل السَلَم والسَمُر ، أخرج الفتلة وهي حب السلم والسمر خاصة وذلك اول مايطلع .

وأزنم الشجرُ ، صار له زنمة . وأمرد النخل ، صار ذا سراد وهو الخلال الصاب والخلال هو البسر اذا اخضر واستدار .

وتربّل الشجر ، أخرج الربل وهو ضربٌ من الشجر يتفطر آخر القيظ بعد الهيج ببرد الليل من غير مطر .

وارشى الحنظل ، امتدت أغصانه تشبيهاً له بالارشية

وأصنى النخل ، أنبت الصنوان واذا خرج نخلتان او اكثر من اصل واحد فكل واحدة منهن صِنْو والاثنان صِنْوان وصُنيان والجمع صِنوان وقيل الصنو عام في كل فرعين يخرجان من اصل واحد في النخل وغيره .

وسيفت النخلة تسيف سَيَفاً ، كان فيها السيف وهو ما لزق باصول السعف من خلال الليف وهو أرداه وأخشنه وأجفاه وكذلك انسافت .

« النبك » سالم خليل رزق

آراء وافكار

حول الجزء السابع والرابع
« من إرشاد الأريب »

قد نشر الأديب الفاضل محمد راغب الطباخ رسالة هذا عنوانها في العدد الثامن من المجلد التاسع من المجلة (ص ٥٠٤) يطعن في صحة نسب هذين الجزءين لياقوت واني أعترف بان لشكوكه اصلاً واساساً وقد ذكرت أمثالها في مقدمة الطبعة الثانية من الجزء الثالث ويجب عليّ ان أسرد الاسباب التي حسّنت لي اضافتهما على رثاثتهما الى الأجزاء الثمينة ·

اولها ورود تراجم عدة في الجزء السابع قد وردت في بغية الوعاة للسيوطي منسوبة لياقوت ولو فرضنا ان مزوّراً نقلها عن البغية فصحة نسبها لياقوت ثابتة على كل حال ·

والثاني ماجرى في الجزء السابع من ذكر أخبار وتواريخ تتعلق باحوال ياقوت يستبعد صدورها عن غيره منها ص ٢٠٩ (وقد أدركت نصر بن الحسن صغيراً ولم ألقه وتوفي سنة ٥٨٨) وهذا يشبه ما قاله ياقوت في الجزء السادس ص ٢٣٠ (مات المبارك ابن المبارك سنة ٥٨٥ أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه الا انني لم أره لصغر السن) ومنها ص ٢٨٠ انه كان بالموصل سنة ٦١٣ وقد ذكر ابن خلكان في ترجمة ياقوت انه كان بالموصل سنة ٦١٣ ثم أورد ابن خلكان لياقوت رسالة طويلة زعم انه كتبها من الموصل في سنة ٦١٧ حين وصوله من خوارزم طريد التتر وقال ابن خلكان (وصادف وهو بخوارزم خروج التتر وذلك في سنة ٦١٦ فانهزم بنفسه · ونقلت من تاريخ اربل الذي عني بجمعه ابوالبركات ابن المستوفي ان ياقوتاً قدم اربل في رجب سنة ٦١٧ وكان مقيماً بخوارزم وفارقها للواقعة التي جرت فيها بين التتر والسلطان محمد بن تكش خوارزمشاه) · وقال مؤلف الجزء السابع ص ٢٦٨ (وتوفي في السنة التي عدتُ فيها من خوارزم الى الموصل سنة ٦١٨) · ولو اخذ مزوّر التاريخ من كتاب ابن خلكان لجعله سنة ٦١٧ وكتب ياقوت في مادة خوارزم من معجم البلدان (واما الآن فقد بلغني

ان التتر صنف من الترك وورودها سنة ٦١٨ وخربوها وقتلوا أهلها) وقال صاحب سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ٩٢ (ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة سنة ٦١٧ واستيلائهم عليها في صفر سنة ٦١٨) . وغلطة مؤلف الجزء السابع في تاريخ عودة ياقوت الى الموصل توافق غلطة ياقوت في تاريخ ورود التتر خوارزم وهذا الاتفاق يدل على ان مؤلف الجزء السابع هو ياقوت . وقال مؤلف الجزء السابع ص ١٧ (انتقل الى مصر وانا بها سنة ٦٢٤) . وقد ذكر ياقوت سنة ٦٢٥ وسنة ٦٢٦ في الجزء السادس (ص٣٦٥ وص١٨٥) فكأنه لم يزل يدخل زيادات في إرشاد الاريب الى انقضاء عمره وقال ابن خلكان في الترجمة (أقام بالموصل مدة مديدة ثم انتقل الى سنجار وارتحل الى حلب وأقام بظاهرها في الخان الى ان مات) واقامته في الخان المذكور لاتنافي ذهابه الى مصر في وقت من الاوقات ولو اخذ من اخباره من ترجمة ابن خلكان لم يكن ليذكر مثل ذلك . والثالث وفاء الجزء السابع بوعود جاءت في الاجزاء السابقة منها في الجزء الخامس ص ١٩٠ (فقال ابو محمد اليزيدي : (كنا نقيس النحو فيما مضى) الخ الابيات في اخبار اليزيدي) وهي موجودة في الجزء السابع ص ٢٩٠ وقال في الجزء السادس ص ١٤١ (الفضل بن محمد بن ابي محمد اليزيدي وقد ذكرنا نسبه ونسب اهله والسبب الذي لاجله سموا اليزيديين في باب جده ابي محمد يحيى ابن المبارك) وقد جاء ذلك في الجزء السابع ص٢٨٩ وقال في الجزء الخامس ص٤٤٠ (علي بن هارون بن علي ابن يحيى المنجم قد ذكرنا اباه هارون واجداده في مواضعهم من الكتاب) وترجمة هارون موجودة في الجزء السابع ص ٢٣٤ .

وقد وعد باشياء لم يف بها مؤلف الجزء السابع منها في الجزء الخامس ص ٢٨٨ (له مدح في الزمخشري ذكرنه في ترجمته) . وفي الجزء السادس ص٢٨ : (يعقوب ابن احمد المذكور في بابه) والاغلب على ظني ان الجزء السابع مختصر اختصره رجل كان عنده نسخة كاملة فحذف منها اشياء لم يرغب في تخليدها وأضاف تراجم كان نقلها من كتاب الشعراء لياقوت . واما الجزء الرابع فهو على كل حال مختصر وقد ذكرت في مقدمتي له ما يدل على انه لياقوت .

وارجو ان يقبل الاديب الفاضل عذري ، ويجيز لي ان اذكره المثل السائر (بعض

الشر أهون من بعض) وأنْ أكمل تأليف ياقوت تكميلاً لا يسد كل خلل أهون عليَّ من تركه ناقصاً نقصاناً ظاهراً ولن أزال ممتثلاً امره بالتنقير عن نسخ هي اكمل واصح من التي اضطررت الى النقل عنها ٠

اكسفرد : د ٠ س ٠ مرجليوث
عضو المجمع العلمي

العربة

« هل هي من وضع ابن بطوطة ؟ »

هل ابن بطوطة من اهل اللغة ؟ وهل هو الذي وضع لفظ (عربة) ؟ ! ذلك ما نبادر الى ذهني عند مطالعة جواب الصديق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف (مجلة المجمع ٩ : ٣٥٦) على اقتراح الاستاذ الشيخ عبد القادر « المغربي » في الكلمات غير القاموسية ٠ فاني اعلم حق العلم ان الرحالة ابن بطوطة ليس هو من أئمة اللغة بل ليس هو الذي وضع مثل (العربة للعجلة التي تقل الركاب) والقبرية التي سماها المبرّد (الشاهدة : وهو مايوضع على القبر من كتابة ونحوها وهي شائعة متداولة في لهجة العامة بحلب ويجمعونها على شواهد ٠ فان ابن بطوطة ليس بعالم ولا مفكر [1] ولا ريب في ان رحلته سهلة الانشاء ساذجة التعبير تكاد تجاور الانشاء المنحط احياناً فتبدو خالية من قيد التأليف والترتيب [2] وانما يعود الفضل في تعريبها واحكامها الى ابن جزي الكلبي الاديب المشهور ٠

وقد كان حضرة الصديق الاستاذ الاب انستاس الكرملي ذهب الى ان (العربة) تركية الاصل في نقده على الشيخ ابرهيم اليازجي قال في مجلة المشرق (٥ : ٥١٩) وكثيراً ما يستعمل كلمة (عربة) بمعنى مركبة وعجلة وهي تركية الاصل !! ودون هاتين اللفظتين فصاحة قال ابن بطوطة في رحلته في كلامه على بلاد الترك « وهم يسمون العجلة (عربة) بعين مهملة وراء وباء موحدة مفتوحات » ولا إخال ذلك صواباً ٠ قال الامام عيسى بن علي في معجمه السرياني العربي في ترجمة مادة (ايزرا)

---

(١) الروائع في ابن بطوطة ٠ (٢) الروائع في ابن بطوطة ايضاً ٠

على اللفظ الشرقي (وايزرا) جناح دولاب العربة · وانت خبيران عيسى بن علي من أركان دار الترجمة ببغداد في العهد العباسي اي في أواخر العصر التاسع للمسيح · فكلمة (العربة) قديمة العهد سبقت ذاك العصر ولو لم تكن مشهورة متداولة في عهد ابن علي المشار اليه لما كان فسرها بعض لفظ ايزرا الارامي السرياني · ولا إخالها فارسية دخلت الارامية ولعلها ارامية سريانية فانها في هذه اللغة (عربا) اى العربة على ما روى ابن علي السابق الذكر · فهي والحالة هذه — قبل ابن بطوطة باعصار كما هو ظاهر ·

ومن بحث عن العربة في معاجم اللغة الارامية السريانية رأى ابن علي يقول في مادة (ايزرا) على اللفظ الشرقي جناح دولاب العربة · وقال بعده ابن بهلول من لغويي القرن العاشر للميلاد في مادة ايزرا جناح العربة · وقد ذكر ابن علي عربا على اللفظ الشرقي[1] بمعنى العربة (العجلة) كما مر بك آنفاً · واما في مادة عربا فقال معصرة الزيت و يقال اناء الزيت · وقال وعربا ايضاً العربة وهي الرحى التي تكون في الزورق في الماء · وقال ابن بهلول عربا اناء الزيت ومعصرة والعربة التي يطحن بها · واما لغويو السريان الحدثاء كيعقوب منا الكلداني فقد قال في معجمه في مادة ايزرا سجل صك ٢ جناح دولاب العربة (وهو لفظ ابن علي كما رأيت) ٣ أداة محراث الفدان ٤ بزّار بائع البزر = آلة حياكة · وقال في عربا مؤنثة غرب خلاف صنصاف ٢ غرب ٣ عربة طاحون رحى بديرها الماء ٤ قصعة معجن جفنة طويلة ٥ تقير حجر اجانة معصرة · وقال قبله العلامة القرداحي في لبابه في مادة بزر (وايزرا) ايضاً دولاب العربة والبزّار (اي بياع البزر) والحراث عن ابن بهلول وقال في مادة عرب عربا المغرب والمعجن اي ما يعجن فيه وعربا بالجمع الغرب وعربا ايضاً الحمص اه ·

وقال العالم احمد وفيق باشا في معجمه (اللهجة العثمانية) عَرَبة خطأ محض · لان العين لا وجود لها في اللغة التركية ولعل المراد (ارابه‌در) وألحقها بحرف (ن) اي فلتنظر او فلتحرر عن مجلد ٢ ص٨٠٤ وهذا يؤكد ما سبق وقلته لا اظن العربة من

---

(١) اعتمدت هذا اللفظ فيمانقلته عن الارامية السريانية اقتداء بالعرب القدماء الذين عربوا ماعربوه بهذا اللفظ الشرقي مثل برنساء وما اشبه ·

أصل تركي . وقال الاستاذ الزبيدي في تاج العروس في (فصل العين من باب الباء عرب) (و) العربات (سفن رواكد في دجلة) النهر المعروف واحدتها عربة (مجلد ١ ص ٣٧٦) وهذا يحقق ماقاله لغويو السريان جناح دولاب العربة في الماء و يرجح ان اللفظ أعجمي . وقد كان معروفاً في بغداد خاصة ولما كانت العجلات من أعتاد الحرب عند الشعوب القديمة فقد توسعوا في معنى العربة فنقلوها من معنى الرحى التي تكون في الماء وما أشبه الى معنى المركبة او العجلة التي تدار على دولابين او اكثر فعرفت بهذا المعنى .

ومهما يكُ من الامر فقد ثبت من هذا البحث اللغوي ان العربة بمعنى العجلة اوالمركبة قديمة العهد قد سبقت ابن بطوطة بازمان طويلة وانها دخيلة في اللغة العربية واللغة التركية ولعلها آرامية سريانية و يراد بها الرحى او العجلة التي تدور على دولابين او اكثر ونقل الركاب .

و بهذا القدر غنى وكفاية في تحقيق اصل كلمة وقدمها العهيد .

ARCHIVE http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

حلب : الخوري جرجس منش
عضو المجمع العلمي

الإران و (بيدر)

قرأت تعليق صديقي الأستاذ « المغربي » على كلمة (إران) التي وجدت مرقومة على بعض التوابيت الحجرية الفينيقيـة (مجلة المجمع م ٩ ص ١٤٨) فذكرتُ بعدها ان قروبي فلسطين لا يزالون يسمون التابوت الحجري بالـ (ران) بلا الف و يجمعونها على رانات فالظاهر ان هذه التسمية اتصلت اليهم مما كان منقوراً في تلك التوابيت من الامم الفينيقي .

وتكثر هذه الإرانات عند آبار المياه في القرى اذ يمتاحون الماء بالدلاء و يضعونه فيها لسقي ماشيتهم .

على ان الران في اللغة العربية ضرب من الأحذية . قال الفيروزابادي في مادة الرين : (الران كالخف الا انه لا قدم له وهو أطول من الخف) .

وقرأت في مجلة مجمعنا العلمي المقال الممتع الذي كتبه زميلي الاستاذ الشيخ سليمان ضاهر عن (صلة العلم بين دمشق وجبل عامل) فاستوقفني توقفه في حاشيته على مقتل محمد بن مكي بن حامد العاملي الجزيني (م ٩ ص٢٧٨) — ان يكون بيدمر الخوارزمي حياً في سنة ٧٨٦ التي قتل بها في حين ان ابن الوردي يذكر ان بيدمر البدري نائب حلب قتل في سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م كأن الاستاذ يظن انهما واحد والصواب ان بيدمر الخوارزمي لم يل نيابة السلطنة قبل سنة ٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م اي بعد مقتل سميه البدري باثني عشر عاماً . فقد ولي الخوارزمي النيابة بحلب ثم بالشام اي دمشق[١] وشق عصا الطاعة في الأخيرة ثانية بعد أولى . ثم أُفرج عنه وأعيد لنيابة الشام وكان بها سنة ٧٨٦هـ ١٣٨٤م وفي تلك السنة ذهب لزيارة الملك الظاهر برقوق ونال الحظوة لديه وعاد الى دمشق .

فبيدمر الخوارزمي هو غير بيدمر البدري بل هناك معاصر ثالث لهما يدعى بيدمر البجدي كان شاد القصر السلطاني في سنة ٧٩١ هـ ١٣٨٩ م .

زد على ذلك ان محمد بن مكي بن حامد كان في سجن دمشق عاصمة المملكة الشامية ولا سلطان لنائب حلب عليه لانه في مملكة أُخرى .

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي

---

(١) كان في بلاد الشام سبع ممالك يديرها نواب السلطنة المصرية وهي : الشامية وعاصمتها دمشق والحلبية والحماية والكركية والطرابلسية والصفدية والغزاوية وعواصمها المدن المسماة بها اي حلب وحماة والكرك وطرابلس وصفد وغزة وقد نقلناها باسمائها الرسمية المعروفة والمدونة في تلك الايام وان كانت جاءت النسبة ببعضها على غير القياس .

مطبوعات حديثة

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين

« تأليف الامام ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتوفى سنة ٣٢٤ »
« الجزء الاول في الجليل من الكلام عني بتصحيحه الاستاذ ه . ريتر »
« وطبع في مطبعة الدولة في استانبول سنة ١٩٢٩ عدد صفحاته ٣٠٠ »

هذا كتاب من الامهات القديمة في الملل والنحل كتب قبل كتب الشهرستاني وابن حزم وعبدالقاهر البغدادي فكأنه المصدر الاول الذي استقى منه هؤلاء الثلاثة الذين وصلت الينا مؤلفاتهم في المذاهب الاسلامية « سلك سبيلاً بعيدة من التعصب والتحيز الى فئة وترك مااختاره بعض المتأخرين من التشنيع على المخالفين وتكفيرهم ولعنهم » على ماقال الناشر . وقد قدم له مقدمة بديعة بالعربية ذكر فيها رأيه في الكتاب والاصل الذي نقل منه وغير ذلك من الفوائد التي دلت على احاطته بعلم الكلام الاسلامي . وقد صححه معارضاً له على بعض المظان بحيث تكفي نظرة واحدة من المطالع على صفحة منه ليدرك مبلغ الجهد الذي يجهده علماء المشرقيات في نشر آثار سلفنا الصالح . وبعد هذا ألا نغتبط باحياء هذا الكتاب ويحق علينا ان ننسج عبارات الثناء على ناشره العالم المحقق . م . ك

الرحلة العلمية

« في العواصم الشرقية والغربية »
— للدكتور فؤاد غصن في بيروت صفحة ١٢٨ —

نُدب هذا الطبيب الأديب الى درس الطب الشرعي عند بعض الامم فزار فلسطين ومصر وباريز وبرلين ولندرا وذكر شيئاً من نهضتها في العلوم الطبيـة ووصف العواصم التي زارها وصفاً مختصراً يلمُّ به القاريء الماماً خفيفاً بتاريخها وحاضرها . وقد عني عناية خاصة بذكر من احتفوا به ودعوه الى طعامهم من التجار والاطباء وغيرهم على صورة ذكرتنا بما أرانه العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلاته من التنويه بمن أو لموالة

ولائم وذبحوا له الخرفان وبذلوا له الرغمان · ولكن النابلسي كتب منذ مائتي سنة والدكتور فؤاد غصن متشبع بالروح العصري وهو ينسج على منوال من كان أفقهم ضيقاً · وحبذا لو كان تجنب مثل ذلك واخذ في رحلته على الاقل باسلوب ابن جبير وابن بطوطة اللذين دوّنا رحلتيهما في القرون الوسطى وخلتا من هذه الانانيات · م · ك

الدروس العربية للمدارس الثانوية

« تأليف كل من الاستاذين عبد الله مشنوق ومحمد طاهر اللاذقي طبع في »

« بيروت سنة ١٩٢٩ م وهو يشتمل على ١٦٣ صفحة »

قال المؤلفان في مقدمة هذا الكتاب : (اخترنا القطع المناسبة المفيدة لمشاهير الكتاب في فنون متنوعة وباساليب مختلفة وعرفنا المشهور من رجالها · ثم أردفنا ذلك بشرح غريب الألفاظ وطالبنا التلميذ باستعمال بعضها في تراكيب عربية صحيحة ثم اتبعناها باسئلة ليستعين بهـا الطالب على استذكار ما قرأه الخ) فالكتاب إذن كتاب مدرسي يتمرن به الطالب على الفصاحة والبلاغة علماً وتطبيق ما كان تعلمه من القواعد عملاً ·

ومؤلفا الكتاب من خيرة العاملين في نشر التربية والتعليم اولهما مدير مدرسة البنين الاولى لجمعية المقاصد في بيروت والآخر مدرس العربية في المدرسة نفسها · فلا غرو ان يقع تأليفهما الموقع اللائق به من نفوس مديري المدارس واساتذتها فيقبلوا على تدريسه فانه بذلك جدير ·

الفقيد العظيم

هو المرحوم فوزي بك الغزي أستاذ الحقوق الدولية في معهد الحقوق بدمشق المتوفى في ٦ تموز سنة ١٩٢٩ · وقد جمع تلميذه السيد لطفي اليافي احد طلاب الحقوق نبذاً من تاريخ حيـاته وخطبه وكلماته المأثورة وصورة عن الدستور السوري الذي وضع قواعده الفقيد وبعض مراثيه ووصف موكب جنازته وطائفة من رسومه — جمع كل ذلك في كتاب بلغ ١٨٠ صفحة مطبوعة طبعاً حسناً · والكتاب جدير بالمطالعة كما ان جامعه جدير بالشكر ·